أثر جائحة كورونا في ملامح الشخصيات الروائية
(مذكّرات طبيبة زمن الكورونا لآمنة بو سعيدي) أنموذجًا
«دراسة وصفية تحليلية»

أ. د. عبد الرحمن بن أحمد السبت[1]

(قدم للنشر في ٠٥/ ٠٥/ ١٤٤٣هـ؛ وقبل للنشر في ٠٦/ ٠٧/ ١٤٤٣هـ)

المستخلص: يسعىٰ هذا البحث الموسوم بـ: «أثر جائحة كورونا في ملامح الشخصيات الروائية: (مذكّرات طبيبة زمن الكورونا لآمنة بو سعيدي) أنموذجًا – دراسة وصفية تحليلية» إلىٰ إبراز أهم الملامح للشخصيات الروائية وأبعادها زمن جائحة كورونا، وعلاقاتها بعناصر السرد الأخرىٰ من خلال المدونة المدروسة. اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلىٰ: مقدمة، وتمهيدٍ تحدثتُ فيه عن: مفهوم الشخصية الروائية ووظيفتها، وحديث عن جائحة «كورونا»، ونبذة مختصرة عن الطبيبة الروائية آمنة بو سعيدي، ووقفة مختصرة عن روايتها الموسومة بـ: «مذكرات طبيبة زمن الكورونا»، وجاء بعد ذلك مبحثان: المبحث الأول: تحدثتُ فيه عن: أنواع الشخصيات في رواية «مذكرات طبيبة زمن الكورونا»، وتتمثل في: الشَّخصيات الرئيسة، والشَّخصيات الثانوية، وذكرتُ أبعاد كلِّ شخصية حسب توفرها في الرواية، سواء أكانت أبعادًا جسمية، أو نفسية، أو فكرية، أو اجتماعية، وأثرها في تكوين الشخصية. والمبحث الثاني: تحدثتُ فيه عن علاقة الشَّخصيات بالعناصر السَّردية الأخرىٰ: الحدث، والزَّمن، والمكان. ثم الخاتمة، وفيها أبرز نتائج البحث والتوصيات. واتَّضح لي نهاية الدراسة التركيز الواضح من قبل الكاتبة علىٰ شخصية «الطبيبة» في إدارة أحداث الرواية، حتىٰ انتهت بوفاتها مصابة بمرض كورونا «كوفيد ١٩»، موضحةً خطورة الجائحة التي حلَّت بتونس الخضراء المكان الذي دارت فيه الأحداث الروائية، وعلىٰ ضوء ذلك فُقِد كثير من أفراد مجتمعها؛ بسبب هذا الوباء العالمي الخطير.

الكلمات المفتاحية: جائحة، كورونا، كوفيد ١٩، مذكرات، رواية، بو سعيدي.

***

(١) أستاذ الأدب والنقد في قسم اللغة العربية، كلية التربية بالزلفي، جامعة المجمعة.

البريد الإلكتروني: a.alsabet@mu.edu.sa

The Impact of the Corona Pandemic on the Features of Narrative Characters: (A Diary of a Doctor in the Time of Corona by Amna bou Saidi) as a Model - "An Analytical descriptive Study"

Prof. Abdulrahman bin Ahmad Alsabt

(Received 09/12/2021; accepted 07/02/2022)

Abstract: This study seeks to highlight the most important features of narrative characters and their dimensions, pictured by the writer, in the time of the Corona pandemic. It also points out the relationships between those dimensions and the other elements of narrative through the studied memoirs.

The nature of the research necessitated dividing it into an introduction and a preface where the concept of narrative character and its function is explained; "Corona" pandemic, and a brief overview of the novelist, Doctor Amnah Bou Saidi, and her novel entitled: "A Diary of a Doctor in the Time of Corona" have been addressed. The analysis has been handled in the following two parts:

In the first part, the study approaches the types of characters in the novel "A Diary of a Doctor in the Time of Corona" including both main and minor characters. Then, in detail, it points out the dimensions of each character according to their appearance in the novel, whether they are physical, psychological, intellectual, or social dimensions. Moreover, the impact of those dimensions on the formation of the character has been highlighted.

In the second part, the study identifies the relationship of the characters with other narrative elements such as event, time, and setting.

Finally, the study concludes that the writer has clearly focused on the character of the "Doctor" in managing the events of the novel that ends with her death from "Covid 19", explaining the seriousness of the pandemic that befell Tunisia, where the events of the novel took place and where many people have lost their lives because of this serious global pandemic.

key words: Pandemic, Corona, Covid 19, Diary, Novel, Bou Saidi.

❊ ❊ ❊

مقدمة

تعدُّ جائحة «كورونا» من مشكلات العصر التي أرهقت العالم أجمع، ووظَّفت الدول قواها المختلفة في سبيل مواجهة هذه الأزمة، وتكاتفت الوزارات المختلفة، وتعاضدت فيما بينها من أجل الوقوف صفًّا واحدًا في سبيل درء خطرها، فكانت وزارات الصحة والتعليم والجهات الأمنية في طليعة الجهات المعنية بمواجهتها، مع ما تتمتع به الشعوب من وعي تام نحو المسؤولية الملقاة على عاتقها؛ لتكون لبنة من لبنات أوطانها، وعاملًا من عوامل النجاح في تجاوز الأزمات، والخروج منها بأقل خسائر مادية وبشرية.

وقد شارك المثقفون والأدباء في تصوير الجائحة، فتحدثوا عنها شعرًا ونثرًا، ومن أفضل ما وقع في يدي من كتب اقتنيتها من معرض الرياض الدولي للكتاب ٢٠٢١م، رواية تونسية تحدثتْ عن الجائحة، وهي بعنوان: «مذكّرات طبيبة زمن الكورونا» للكاتبة آمنة بو سعيدي، فجاءت فكرة دراستها ببحث سمَّيته: «أثر جائحة كورونا في ملامح الشخصيات الروائية: (مذكّرات طبيبة زمن الكورونا لآمنة بو سعيدي) أنموذجًا – دراسة وصفية تحليلية»، وخاصة أنني لم أجد – حسب اطلاعي – أي دراسة سابقة عنها، سواء عن الشخصيات فيها أو غير ذلك؛ نظرًا لجدّة الرواية وحداثتها.

*** مشكلة البحث:**

مَنْ يقرأ أي رواية يجد البناء السردي يتشكَّل من عدة عناصر، تتمثَّل في الشخصيات، والزمان، والفضاء، والأحداث، واللغة، وتقوم الشخصيات بأثرٍ كبير في تشكيل الرواية عبر تنوعها، وتعدُّد أدوارها، فهناك الشخصيات الرئيسة، والثانوية، ولكل واحدة منها أثرها في بناء الرواية، وتشكيل ترابطها مع بقية العناصر الأخرى، فما الشخصيات الرئيسة في رواية: «مذكرات طبيبة زمن الكورونا»؟ وما الشخصيات الثانوية فيها؟ وما أبعادها وسماتها؟ وكيف كان أثرها في

بناء الرواية؟ وما علاقة الشخصيات بالعناصر السردية الأخرىٰ؟

ونتيجة لذلك، جاءت فكرة الكتابة في هذا البحث للإجابة عن هذه الأسئلة، والحديث عن المكانة التي تحظىٰ بها الشخصيات في عملية البناء السردي للرواية المدروسة.

*** حدود البحث:**

ستكون الدراسة عن عنصر مهم من عناصر البناء السردي في الرواية، وهو: (الشخصيات) في رواية: «مذكرات طبيبة زمن الكورونا» للروائية التونسية آمنة بو سعيدي.

*** أهداف البحث:**

١ - الحديث عن الشخصيات الرئيسة في رواية: «مذكرات طبيبة زمن الكورونا»، وأبعادها الجسمية، والنفسية، والاجتماعية، والفكرية إن وجدت، وأثر هذه الشخصيات في بناء الرواية وفق تأثرها بالجائحة.

٢ - بيان الشخصيات الثانوية في رواية: «مذكرات طبيبة زمن الكورونا»، وأبعادها الجسمية، والنفسية، والاجتماعية، والفكرية إن وجدت، وأثر هذه الشخصيات في بناء الرواية وفق تأثرها بالجائحة.

٣- علاقة الشخصيات بالعناصر السردية الأخرىٰ في الرواية.

*** منهج البحث:**

اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي في البحث، فهو الأنسب لوصف الشخصيات في الرواية، وتحليلها، والإبانة عن سماتها وخصائصها، وأثرها في البناء الروائي، وبيان علاقتها مع بقية العناصر السردية الأخرىٰ.

*** إجراءاته:**

- الحديث عن الشخصيات الرئيسة، وترتيبها وفْقًا لمكانتها التأثيرية في الرواية.
- الحديث عن الشخصيات الثانوية، وترتيبها وفقا لأهميتها في الرواية.

- إيضاح العلاقة التأثيرية للشخصيات مع العناصر الروائية الأخرىٰ.

❋ تبويب البحث وتقسيمه:

تعدُّ الرواية من الروايات الحديثة التي صدرت عام ٢٠٢١م، ولم أجد أي دراسة سابقة عنها، مما كان الطريق أمامي مفتوحًا لتناول جزئية فنية تتعلق بأحد عناصر البناء السردي فيها، وهو جانب الشخصيات؛ لأنها أهم عنصر شارك في الجائحة، وكان أثرها واضحًا علىٰ أرض الواقع، وصوَّر ذلك في سطور الرواية.

وتتكوَّن خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس علىٰ النحو الآتي:

- **المقدمة،** وفيها ما يلي: موضوع البحث، ومشكلته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وتبويبه.
- **التمهيد، وفيه** ما يلي:
  - مفهوم الشخصية الروائية، ووظيفتها.
  - حديث عن: جائحة كورونا (كوفيد19).
  - نبذة مختصرة عن الروائية آمنة بو سعيدي.
  - وقفة مختصرة مع رواية: «مذكرات طبيبة زمن الكورونا».
- **المبحث الأول:** أنواع الشخصيات في رواية: «مذكرات طبيبة زمن الكورونا»، وأبعادها.
- **المبحث الثاني:** علاقة الشخصيات بالعناصر السردية الأخرىٰ في الرواية.
- **الخاتمة،** وفيها: أهم نتائج البحث، والتوصيات.
- **فهرس المصادر والمراجع.**

❋ ❋ ❋

تمهيد

١- مفهوم الشخصية الروائية، ووظيفتها:

أشار تودوروف إلىٰ أن الشخصية: «لا وجود لها خارج الكلمات؛ لأنها ليست سوىٰ كائنات من ورق»(١)، يقوم الروائيُّ بتوظيفها في كتابته؛ للقيام بمهام الأحداث المطلوبة منها، وتخضع لمتابعته وآرائه، وقدرتها علىٰ تحقيق الأهداف التي يريدها في روايته(٢).

وتعدُّ الشخصية عنصرًا رئيسًا في البناء السردي، وركيزة أساسيَّة في تحريك أحداث الرواية وتطوراتها وتفاعلاتها، وبدونها فإنَّ الرواية تفقد عنصرًا رئيسًا لا غنىٰ عنه، مما يجعلنا خارج نطاق الفنِّ الروائي، وقد ذكر بعض النقَّاد أنَّ الرواية تتمحور في الشخصية(٣)؛ بل إنها «عمود الحكاية الفقري»(٤)؛ لأنها محك رئيس لإدراك قدرة الروائيِّ علىٰ صناعة شخصيَّة متميزة؛ لكتابة عملٍ فنيٍّ يحوز علىٰ إعجاب القارئ، وما تقوم به من عملية ربط بين أركان البناء السردي من زمان، ومكان، وأحداث بلغة فنية تشد المتلقي وتستثيره لمتابعة أحداث الرواية حتىٰ نهايتها(٥).

وتعتبر الشخصية الروائية بمختلف أنواعها، الرئيسة أو الثانوية، والإيجابية أو السلبية، والواقعية أو الخيالية المحرِّك الأساس لأحداث الرواية، وتطويرها(٦).

---

(١) نقلاً عن: المكان في الرواية «بحث في قصصية المكان»، د. الميلود حاجي، (ص٧٣).

(٢) انظر: في نظرية الرواية «بحث في تقنيات السرد»، د. عبد الملك مرتاض، (ص٧٥- ٧٦).

(٣) انظر: فنون النثر العربي الحديث٢، أ.د. شكري عزيز الماضي، (ص٣١).

(٤) معجم السرديات، أ.د.محمد القاضي وآخرون، (ص٢٧٠).

(٥) انظر: الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة، سعد عبدالعزيز، (ص٢).

(٦) انظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، (ص٢٠٨).

وتؤدِّي الشخصية وظائف متنوعة في الرواية، فتحتلُّ مكانة في تجسيد فكرة الروائي مما يصوره من محيطه، وواقعه الذي يعيش فيه، وما يريد إيصاله إلىٰ المتلقين من أفكار متنوعة، سواء أكانت ثقافية، أم اقتصادية، أم اجتماعية وغيرها، فهي عنصر مؤثر في تسيير الأحداث، كما أنها تعطي صبغة جمالية تثير المتلقي، وتستفز فضوله، وتجعله يُقدم علىٰ قراءة الرواية؛ لمعرفة ما تحمله من رسائل متنوعة في شؤون الحياة، وإدراك ردَّة فعله تجاه بعض الأحداث، وتصوير أبعاد الشخصية المختلفة(١).

وللشخصيات أثرٌ في تحريك أحداث رواية «مذكرات طبيبة زمن الكورونا»، وخاصة الطبيبة والطبيب؛ لأنهما الشخصيتان المحوريتان، والمحركتان لأغلب الأحداث في الرواية، ومن خلالهما أرادت الكاتبة أنْ تصوِّر ما حصل للشعوب العالمية بوجهٍ عام، والشعب التونسي بوجهٍ خاص من محنة كبيرة ألمت بهم؛ بسبب جائحة كورونا التي قضت علىٰ ملايين البشرية، وأدخلت ملايين آخرين إلىٰ مستشفيات دولهم، وجعلت البقية في الحجر المنزلي الإجباري، وكيف كان الأطباء يواصلون ليلهم بنهارهم من أجل الوقوف مع مرضاهم، وتقديم ما يحتاجونه من علاج أثناء تنويمهم، للتخفيف من آلامهم وأوجاعهم.

٢- جائحة كورونا (كوفيد 19):

الجائحة لغة: «الشِّدة، والنازلة العظيمة التي تجتاح المال من سَنَةٍ أو فتنة»(٢)، واصطلاحًا: وباء عام ينتشر بين البشر في مساحة واسعة، وقد تتسع لتضم أرجاء العالم، وظهر عبر التاريخ عدد من الجوائح، مثل: الجدري، والسلِّ، والطاعون. وحديثًا: الإنفلونزا الإسبانية، وإنفلونزا

(١) انظر: الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، د. محمد علي سلامة، (ص١٣).

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (جوح)، (٢/ ٤٣١).

الخنازير ٢٠٠٩، وفيروس الإنفلونزا أH1N1 ، وفيروس كورونا (SARS-CoV-2)، وفيروس كورونا (COVID 19)[١].

وفيروسات كورونا: فصيلة تسبب أمراضًا مثل: نزلات البرد، ومتلازمة الشرق الأوسط التنفسية، ومتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم (السارس). ومرض كوفيد-19: هو المرض الناجم عن فيروس كورونا المستجد المسمىٰ فيروس كورونا-سارس، واكتشفته منظمة الصحة العالمية لأول مرة في ٣١ ديسمبر ٢٠١٩م، بعد الإبلاغ عن مجموعة من حالات الالتهاب الرئوي الفيروسي في (يوهان) بالصين الشعبية.

وأعراضه الأكثر شيوعًا هي: الحمىٰ، والسعال الجاف، والإجهاد، أمَّا الأعراض الأقل شيوعًا، فهي: فقدان الذوق والشم، احتقان الأنف، احمرار العينين، ألم الحلق، الصُّداع، آلام العضلات، مختلف أنماط الطَّفح الجلدي، الغثيان، الإسهال، الرَّعشة، وعادة ما تكون الأعراض خفيفة، ويُصاب بعض الأشخاص بالعدوىٰ، ولكنْ لا تظهر عليهم إلَّا أعراض خفيفة للغاية، أو لا تظهر عليهم أيُّ أعراض نهائيًا[٢].

وفيما يتعلق بالجائحة في بلاد تونس، التي جاءت الرواية المدروسة في محيطها، فقد سُجِّلت أول حالة لفايروس كورونا بتاريخ ٢ مارس ٢٠٢٠م لرجل في سن الأربعين عائد من إيطاليا، كما كشفت الأزمة أن تونس لا تملك إلا (٢٤٠) سريرَ إنعاشٍ فقط. وفي ١٨ مارس ٢٠٢٠م أعلن وزير الصحة عن شفاء أول مصاب بالجائحة في البلاد، وتسجيل أول حالة وفاة لامرأة مسنة عائدة من تركيا[٣].

(١) انظر موقع: ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) علىٰ الشبكة العنكبوتية: https://cutt.us/8KMd6

(٢) انظر: موقع منظمة الصحة العالمية علىٰ الشبكة العنكبوتية: https://cutt.us/Gpn4f

(٣) انظر: صفحة الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) علىٰ الرابط الشبكي: https://cutt.us/o5KSl

٣- نبذة مختصرة عن آمنة بو سعيدي:

ولدت آمنة بو سعيدي في تونس العاصمة عام ١٩٧٧م، وهي كاتبة روائية وباحثة وأستاذة في التعليم الثانوي منذ عام ٢٠٠٤م، حصلت علىٰ ماجستير في تخصص الأدب الحديث عام ٢٠٠٧م، ومن أشهر أعمالها الأدبية: رواية «امرأة في منفىٰ الكلمات» عن دار سحر ٢٠١١م، ورواية «السيدة الوزيرة» عن دار سحر ٢٠٢٠م، وكتاب نقدي بعنوان: «علاقة الشعر بالمسرح في مجنون ليلىٰ، لأحمد شوقي» عن دار نقوش عربية ٢٠١١م[1].

٤- وقفة مع رواية: «مذكرات طبيبة زمن الكورونا»:

صدرت الرواية في طبعتها الأولىٰ عام ٢٠٢١م، عن دار عليسة التونسية للنشر والتوزيع، في حدود (١٢٠) صفحة من القطع المتوسط.

وتحكي الرواية في أحداثها تلك الجهود المبذولة من أطياف المجتمع - وخاصة الأطباء والطبيبات - في التصدي لجائحة كورونا، ومحاولة مساعدة المرضىٰ علىٰ تجاوز هذه المحنة العالمية.

تصوِّر الكاتبة - في روايتها - شخصيةَ طبيبةٍ انهمكت في عملها اليومي في مساعدة المرضىٰ، وقد لفتتْ نظر أحد الأطباء فأحبها، ولكنها لم تلقِ له بالًا، وكان هدفها الوحيد الوقوف إلىٰ جانب المرضىٰ ومساعدتهم، وذات مرة جاء أحد المصابين للعلاج في المشفىٰ فاستقبلته وقامت بعلاجه، وكان يعاني من أعراض كورونا المعروفة، وكان شابًّا وسيمًا مكتمل القوىٰ، فأحبها، وأصبحت نظراته لا تفارق مفاتنها رغم الداء الذي ألمَّ به، ولم تكترثْ بتلك النظرات، وذات مرة لم يتمالك نفسه فطبع قبلة علىٰ جسدها، فكانت المصيبة التي تنتظرها، وهي انتقال الداء إليها، مما جعلهما أسيرين لمرض كورونا، فأصبحا قابعين معًا في المشفىٰ لتلقي العلاج في غرفة

(١) انظر: الغلاف الخارجي لروايتها: مذكرات طبيبة زمن الكورونا.

واحدة، ومع كلماته المتكررة لها، وتفانيه في حبه الخالص لها حتىٰ آخر لحظة من حياته أيقنت بحبه الصادق، فأحبته، وقربت منه رغم المرض الذي أنهك قواها، وكانت النهاية أن أصبحت تداويه نفسيًّا قبل الجسد، حتىٰ جاءت لحظة وفاته وهو مسند رأسه إليها، وكان ذلك علىٰ مرأىٰ من الطبيب الذي أحبها بداية الأمر، ومع هول الفاجعة إلا أنه أشفق عليها، وأصبح يعالجها، ويعطيها الدواء الذي تحتاجه، ولكن مرضها اشتد، وجاء أجلها المحتوم، وأصبحت من عداد الموتىٰ بسبب هذه الجائحة العالمية التي راح ضحيتها ملايين البشر.

* * *

المبحث الأول

أنواع الشخصيات في رواية: «مذكرات طبيبة زمن الكورونا»، وأبعادها

تعدُّ الروايةُ (فنَّ الشخصية)؛ نظرًا لأهميتها في المنجز الروائي، وعلىٰ قدرة الكاتب وموهبته في اختيار شخصيات مناسبة، وتوظيفها في روايته فإنه يحكم علىٰ جودة عمله وإتقانه له[1].

ويعتمد الروائي في بناء شخصياته علىٰ محيطه الاجتماعي، وأبطاله أقنعة يحكي من ورائها أحداثه، ويوظفهم لخدمة ما يريده في روايته[2]، فهي تعالج قضايا مختلفة تدور في أذهان أفراد المجتمع.

وتنقسم الشخصيات في الرواية إلىٰ أقسام مختلفة، فهناك تقسيم حول الأثر الذي تحدثه الشخصية، وقدرتها علىٰ السير بأحداث الرواية وتطورها، ويتمثَّل في الشخصية الرئيسة،

(١) انظر: حركات التجديد في الأدب العربي، د. طه وادي، (ص٢٢٥).

(٢) انظر: البنية الروائية في نصوص إلياس فركوح: تعدد الدلالات وتكامل البنيات، أ. د. محمد صابر عبيد، ود.سوسن البياتي، (ص١١١).

والشخصية الثانوية.

أما التقسيم الآخر فيكون حسب طبيعة الشَّخصية وتطورها، وينقسم إلىٰ: الشخصية النامية، وهي القادرة علىٰ تطوير نفسها، وإثارة المتلقي واستفزازه لمتابعة الأحداث وتطوراتها، ويرسل المؤلف في ثناياها بعض الأفكار التي يقتنع بها، وفي الغالب فإنَّ الشخصيات الرئيسة تكون شخصيات نامية، والشخصية الأخرىٰ: الشخصية المسطَّحة، وتتسم بثبات ملامحها التي لا تكاد تتغير في مشاعرها، ومواقفها من الأحداث، وهي لا تثير المتلقي، وغالبًا فإنَّ الشخصيات الثانوية تكون شخصيات مسطَّحة(١)، وقد اعتمدتُ في بحثي التقسيم الأول، بناء علىٰ الأثر الذي تقوم به الشخصية، ومدىٰ ارتباطها بأحداث الرواية؛ وفقًا للمطالب الآتية:

*** المطلب الأول: الشخصيات الرئيسة:**

الشخصية الرئيسة: هي الشخصية المحورية التي يُسند لها الكاتب أدوارًا أساسيَّة في أحداث الرواية، والسير بها إلىٰ الأمام(٢)، وتقوم هذه الشخصية بوظائف رئيسة في الرواية، ولها أثر في تطوير الأحداث وتحريكها، ويعتني بها السارد ويميزها عن غيرها، كما تقوم الشخصيات الأخرىٰ بالاعتناء بها؛ لمكانتها في العمل السردي، وما يسند لها من أحداث ووظائف لا يمكن أن تسند إلىٰ الشخصيات الأخرىٰ(٣).

ويختار المؤلف شخصية فريدة لتتولىٰ القيام بأفكاره، وتكون محور الرواية، ولها الأولوية بوصف الشخصية المركزية، وتقوم بمهام استقطاب شخصيات أخرىٰ، ويعتني بها الكاتب عناية

---

(١) انظر: الرواية العربية في مرحلة النهوض والتشكّل «دراسة نقدية»، د. محمد صالح الشنطي، (ص١٥٩ - ١٦٠)، وتطور النثر العربي في العصر الحديث، أ.د. حلمي محمد القاعود، (ص٣١٥).

(٢) انظر: بناء الرواية عند حسن مطلك «دراسة دلالية»، د. عبدالرحمن محمد الجبوري، (ص٩١).

(٣) انظر: تحليل النص السردي «تقنيات ومفاهيم»، محمد بو عزة، (ص٥٣ - ٥٦).

خاصة في تكوين أبعادها المختلفة، سواءً أكانت جسدية، أم اجتماعية، أم ثقافية، أم نفسية، وتقوم بعملية تغييرات متعاقبة للأحداث، وتستند إلىٰ قراراتها الحازمة عن رغبة قوية[1]، وهذا ما أجده متمثلًا في شخصية (الطبيبة) في رواية: «مذكّرات طبيبة زمن الكورونا»، فقد جعلتها الكاتبة محورًا تنطلق منها الأحداث، وتدور حولها الشخصيات الأخرىٰ لإتمام عملية البناء السردي في الرواية، وتتمثل الشخصيات الرئيسية في رواية «مذكّرات طبيبة زمن الكورونا» في الآتي:

أولاً: الطبيبة:

تقوم الرواية علىٰ هذه الشخصية المحورية التي تنطلق منها أغلب أحداث الرواية؛ بل إنَّ عتبة العنوان في الرواية توشّح بها، فجاءت موسومة بـ: «مذكرات طبيبة زمن الكورونا»، مما يعني قوة حضورها في الرواية، واعتمادها عليها اعتمادًا كبيرًا.

تصوِّر الكاتبة حال أحد المرضىٰ الذين باشرت الطبيبة علاجهم، تقول: «كان وخْزُ الطبيبة في نظره علامة حياة. ينتظرها كامل ليله، ويلتهم تفاصيلها كلَّما جاءت، ويشمُّ ريحها وإنْ كان عطرها خفيفًا طفيفًا، كان الجميع من حوله يتمنَّىٰ الشفاء من المرض لمغادرة المكان، ولكنَّه كان يتمنَّىٰ البقاء مدىٰ الحياة. شيءٌ ما في هذا الكيان يشدُّه»[2]، وفي مكان آخر من الرواية تقول: «وهذه الجميلة الغانية الصامدة تخرج علىٰ المرضىٰ وعطرها يسبق خطاها... وثغرها وجسدها الناطق وكل شيء فيها تكوَّر وتفانىٰ في النُّضج ولا قاطف يعصف بأرضها المترامية»[3].

يظهر في شخصية الطبيبة الأثر الإيجابي في علاج المرضىٰ، والعمل علىٰ راحتهم في المكان الذي أصبحوا فيه طريحي الفراش؛ رغم مرارة الألم، ولوعة الأسىٰ، وذلك بفضل السمات

(١) انظر: فن كتابة الدراما للمسرح والإذاعة والتلفزيون، د. منصور نعمان، (ص٩٩).

(٢) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، آمنة بو سعيدي، (ص٢١).

(٣) السابق، (ص٢٤).

المتعددة التي تتجلىٰ في هذه الطبيبة، وقدرتها علىٰ احتواء المرضىٰ، وتوفير بيئة مريحة لهم، وحبهم لها؛ بل انتظار الساعة التي تأتي فيها بما يؤلمهم من إبر توخَز في أجسادهم، وهذا بعدٌ نفسي تتمتع به الطبيبة جعل المرضىٰ يرتاحون لها وللمكان الذي هم فيه، مع ما تتمتع به من أبعاد جسمية تتمثل في جسدها الفاتن، وجمالها البديع، ورائحتها العطرية الجذابة التي تُسعد ولا تؤذي، وتسرُّ ولا تضرُّ.

وفي مكان آخر تصوِّر الكاتبة البُعْد الجسدي والنفسي للطبيبة قائلة: «في الشرفات المعلَّقة كقلبِ الطبيبة تقع من عينيها نظرة إشفاقٍ وشوق. تتخفَّف من ثياب الالتزام والخروج للعمل وترسل شعرها خلفها في انسياب يعبر إلىٰ تفاصيل جسدها النحيل وقد تجاوزت الثلاثين واقتربت من الأربعين. ملامحها المتناسقة تجعل وجهها مشرقًا بابتسامة مختلفة، وأسنان جميلة، وثغر ممتلئ، وحاجبين كثيفين...»[1]، فالأبعاد النفسية للطبيبة تتمثل في قولها: (قلب الطبيبة/ نظرة إشفاق/ شوق)، وتتمثل الأبعاد الجسدية في وصفها لها بعدة صفات: (ترسل شعرها خلفها في انسياب/ ملامحها المتناسقة/ وجهها مشرق بابتسامة/ أسنان جميلة/ ثغر ممتلئ/ حاجبين كثيفين) تبين الكاتبة سماتها بالاتكاء علىٰ تقنية الوصف التي جعلتها بحلَّةٍ جميلة كأنها ماثلة أمام القارئ!

وتصف الكاتبة حجم المشقة الملقاة علىٰ الطبيبة في المشفىٰ، والأثر الكبير الذي تقوم به زمن الجائحة من متابعة مستمرة للمرضىٰ، ومتابعة أخبار هذا الفايروس المتجدِّد وخطورته علىٰ البشرية: «كانت الطبيبة متوتِّرة تلقف أخبار الكورونا بكلِّ جزع، وتتخيَّل كلَّ السيناريوات»[2].

تمثَّل البُعْد النفسي للطبيبة في قلقها المستمر، وانشغال ذهنها الدائم في متابعة تفشي المرض، ولا تعلم ماذا يخبئ القدر من أخبار قادمة! فجميع الاحتمالات باتت أمامها، وكان

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، آمنة بو سعيدي، (ص٦٨).

(٢) السابق، (ص٣٥).

ذلك الأمر منهكًا لنفسيتها، ولا تجد وقتًا أو مكانًا للراحة، إلا في أوقات يسيرة.

وتصف الكاتبة الجانب النفسي السيئ للطبيبة عندما رجعت منهكة الجسد، متحطّمة المشاعر، فاقدة ثقتها بأنوثتها وجمالها، وكل ذلك بسبب زميلها الطبيب الذي لم يلقِ لها بالا: «عادتِ الطبيبةُ إلىٰ بيتها وكل شيءٍ في جسدها منهك، لا تقوىٰ علىٰ المشي باعتدال، رأسها يتثاقل بين كتفيها، رجلاها مجهدتان خلفها، وقْعُ حذائها متقطِّع مترهِّل. شيء من الخيبة والغضب يخيِّم علىٰ وجهها، وكان يجدر بها أنْ تغضب من المريض الذي تطاول وتجاسر ليفعل ما فعل، ولكنَّ الغضب كانت وجهته الأولىٰ الطبيب زميلها. أدركتْ أنْ لا شيء يمنعه هو الآخر من التجاسر، وأنَّ الأمر لم يأخذْ أكثر من خمس دقائق لتشعر بكيانها، لتولد من جديد بين أحضانه. أكان جبانًا؟ أم تراه فعلًا لم يشعرْ بها قطُّ؟ أكان لا باليًا؟ ألا ينتبه الرجال لصدق المشاعر؟ ألا يفكِّر فيها؟... كانت الأسئلة حارقة. أليست أنثىٰ كالأخريات؟ أكبرتْ في السنِّ فلا تعجب ملامحها المتوازنة طموح رجلٍ غابر؟ فتحتْ في الذاكرة سؤالًا محمومًا ولم يستطع النوم أنْ يخرجها من دوار السؤال وحمَّىٰ المقارنة»[1]، واتكاء السادرة علىٰ الاستفهامات المتكررة التي تدور في ذهن الطبيبة تشي بالتردي النفسي لها، والآمال المحطمة في كيانها، والمصير السيئ الذي ينتظرها دون أمل يبرق، أو يلوح في الأفق من بعيد؛ ليحيي الحياة من جديد!

وفي موضع آخر تصوِّر الكاتبة بعض التصرفات التي تقوم بها الطبيبة في عملها، تقول: «تعدِّل الطبيبة من خصلات شعرها، ومن مشيتها، ومن صوتها المصدوم لعلَّها تجد في زميلها ما تتمنَّىٰ، ولكنه مشغول عنها»[2]، ويتبين في هذا الموضع سماتها الاجتماعية، فهي امرأة عزباء، تحاول أنْ تلفتَ نظر زميلها في العمل، وتحلم مثل أيِّ امرأة أخرىٰ بشريكٍ يشاركها حياتها،

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٨١).

(٢) السابق، (ص٣٧).

تتقرَّب إلىٰ الطبيب لعلَّ الحياة تجمع قلبيهما، ولكنه لم يلقِ لها بالًا، ولم يشاركها المشاعر التي تتخالج في نفسها!

ويأتي البعد النفسي واضحًا جليًّا في الخطاب الموجَّه من الطبيبة إلىٰ أحد المرضىٰ ممن أصبح يفاتحها بحبه لها رغم الداء، وقلة الدواء، والتعب المحموم قائلة له: «الحبُّ صبرٌ، صدقٌ، انتظارٌ، زمنٌ من الاحتضار. ما الذي تملكه ممَّا يملك الرجال؟ مجرَّد غطرسة!»[1]، فهذه سمات نفسية إيجابية يلزم الرجال التحلي بها، وعدم الخروج عنها إلىٰ أضدادها، فيكون الأمر سلبًا في حياتهم الاجتماعية.

وفي موضع آخر من الرواية تصوِّر الكاتبة البُعْد النفسي للطبيبة قائلة: «كانت الطبيبة خارج أسوار المعتاد تجترُّ مشاعر الحبِّ، وتفيضُ في أنفاسها شعلة الوجد، ولا تحظىٰ برحيق الحياة؛ رغم تفانيها في تشييد قصور الولاء لم تكنْ تُظهر من لهفتها شيئًا، ولم تجاهرْ بهذا الحبِّ، كانت هي الأخرىٰ تتعفَّف وتؤمن أنَّ الحبَّ انصهار تذوب في محرابه الأرواح والأجساد والأحلام»[2]، ففي هذا المقطع السردي تصف الكاتبة حال الطبيبة النفسية بصور متراكمة: (أسوار المعتاد/ تجترُّ مشاعر الحب/ تفيض في أنفاسها/ شعلة الوجد/ رحيق الحياة/ تشييد قصور الولاء/ الحب انصهار تذوب في محرابه الأرواح...)، وتوظِّفها في النص السردي لإيضاح ما خفي من أبعاد نفسية للطبيبة التي تعيش مشاعر الحب الصادق العفيف داخل كيانها العاطفي، ولكنها لم تجد ما تبحث عنه علىٰ الرغم من جهودها الإيجابية مع الآخرين.

ويظهر البعد الاجتماعي في شخصية الطبيبة في طبيعة عملها، فهي تمارس مهنة الطب؛ نتيجة تحصيل دراسي طويل، حافل بالمثابرة، تصور الكاتبة انهماكها في العمل قائلة: «يدُ الطبيبة

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٢٣).

(٢) السابق، (ص٤٤).

في حركةٍ مهووسة تمتدُّ إلىٰ المصاب الذي وصل منذ قليل في حالةٍ حرجة. وتأخذ عيّنة للتحليل. وتدفع بها علىٰ عجل إلىٰ المختبر»[1]، وفي ذلك إشارة إلىٰ سمات الطبيب الحاذق الذي يتصرف في عمله، وخاصة في أقسام الطوارئ مما يستدعي سرعة الإجراءات في بعض الحالات الحرجة دون تأخير يُفاقم المشكلة، ويزيد من أسىٰ المريض ولوعته.

كما أنَّ الطبيبة في بُعْدها الفكري: تقضي وقتها بالقراءة المتنوعة، وخاصةً في المجال الأدبي، تصفها الكاتبة بقولها: «كانت تُقبل بِنَهمٍ علىٰ قراءة كتب الشعر، والروايات الرومانسية، وتجدُ وسط معترك العمل والحياة اليومية المسترسلة مساحة لمراجعة مشاعر الودِّ والصبابة»[2]، وهذه الروايات الرومانسية انعكست علىٰ حياتها الخاصة، فعاشت في عملها قصة حبٍّ لم يتحقَّق لها النجاح مع زميلها الطبيب، وتحوَّلت هذه الرومانسية في النهاية إلىٰ محبة المريض الذي أخلص في حبها حتىٰ رحيله عن الدنيا.

ووصل الأمر في البُعْد الفكري لدىٰ الطبيبة أنها تقضي أوقاتها بالقراءة حتىٰ في أضيق الأوقات، وأشدّها حسرةً وتعبًا: «رنّ جرس هاتفها فلم تجب. رنّ جرس بابها. فتحت وهي تتعثّر مُجهدة وقد بدأت تهيم بأوراقها وتشغل ما تبقّىٰ من وقتها مع الكتب. تدوّن أحيانًا حكمة تضعها علىٰ جدار منزلها. كانت الجدران كلُّها مغلقة وعلىٰ كلِّ جدارٍ ألف كلمة وكلمة تعيد للحياة قيمتها. علَّمنا السيد كوفيد التاسع عشر كيف نكتب ذكرياتنا فلا يمحوها الموت ولا الزمن»[3]، فهذه الأبعاد الفكرية والثقافية واضحة في شخصية الطبيبة زمن كورونا، فهي لا تذخر في استغلال وقتها بما يفيد؛ رغم صعوبة الداء، وألمه الشاق علىٰ النفس والبدن، ولكنها أيقنت إيمانًا صادقًا

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٥٠).

(٢) السابق، (ص٤٤).

(٣) السابق، (ص١١٥).

بأنَّ الأجل مكتوب عند الله قريبًا كان أم بعيدًا، وعلىٰ الإنسان استغلال وقته بما يفيد من قراءة نافعة مسلية للنفس، كأحد العلاجات التي تساعدها علىٰ استقبال هذا المرض والرضا بما كُتِب لها وقُدِّر.

ثانيا: الطبيب:

وهي إحدىٰ الشخصيات الرئيسة التي اعتمدتْ عليها المؤلفة في روايتها: «مذكرات طبيبة زمن الكورونا»، ولها شأن في تحريك كثير من الأحداث، وكان لها حضور منذ بداية الرواية وحتىٰ نهايتها.

وللطبيب بُعْد نفسي ظاهر غير خفي، فهو يساعد المرضىٰ، ويحاول أنْ يوفِّر لهم وسائل الشفاء والراحة، ويجلب لهم الطمأنينة والهدوء، تصوِّر الكاتبة ذلك قائلة: «الأطباء ملائكةُ الرحمة جنود الميدعة البيضاء. برغم العدوىٰ والموت الجاثم أمامهم في كلِّ حركة. إلا أنهم رابطوا وصارعوا وخاضوا معركة البقاء عُزَّلًا. كان منظر الموت قاتمًا. وبدأ اليأس يتسلَّل إلىٰ العزائم والنفوس التي كلَّت وملَّت وأصابها العياء»(١)، وهي صورة حية لأبطال الصحة – رجالًا ونساءً – ممَّن وقفوا وقت الشدة، وكانوا أبطالًا يشكرون علىٰ ما قدموه من تفانٍ وإخلاص في سبيل تقديم الرعاية الشاملة في كلِّ ما يساعد علىٰ تجاوز أضرار هذه الجائحة.

وينتاب الطبيب في بُعْده النفسي كثيرٌ من التعب والإرهاق، والجهد والمشقة: «أجهدَ الطبيبُ نفسه كثيرًا، العمل نهارًا، والسهر علىٰ مريضته تلك ليلًا. اقتطع لنفسه بعض الوقت في أحد الفنادق لينام قليلًا قبل العودة صباحا»(٢)، فهو في عمل مستمر، وقلق دائم، يعالج المرضىٰ، ويتابع أحوالهم، وبلغ به الجهد مبلغه فهو لا يلتقط أنفاسه إلا بعد أخْذ جزء يسير من الراحة؛

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٣١).

(٢) السابق، (ص١٠١).

وليس ذلك وحسب؛ بل إنَّ مكان راحته قريب من المشفىٰ، فقد يُستدعىٰ بصورة عاجلة؛ لتردي حالة أحد المنومين، أو لاستقبال حالة طارئة تستدعي وجوده فورًا!

ومع ما يتحلَّىٰ به الطبيب من سمات نفسية إلا أنه إنسان له مشاعره وشعوره، فإنْ كان لطيفًا سمحًا رحيمًا بالمرضىٰ إلا أنه بشر يعتريه الضعف، وينتابه الألم: «ومهما كان الطبيب رؤوفًا بالخلق فإنَّ تكرار المعاناة يبيح أحيانًا الصَّمت. وشيئًا فشيئًا يتعوَّد الطبيب علىٰ تردِّي الأوضاع. ويتعوَّد المريض علىٰ أنَّه يقصد المستشفىٰ العمومي ليخرج ومعه بعض الوثائق والمواعيد وقد يموتُ قبل أنْ يدركها»(١)، وهي بهذا المقطع اليسير تشير إلىٰ تردِّي الخدمات الصحية في المشفىٰ، وتأخر مواعيدها التي قد يأتي الإنسان أجله قبل أن يأتي موعده لزيارة الطبيب!

وتتمثَّل شخصية الطبيب في بُعْدها الاجتماعي في طبيعة عملها، وحبها له، وتفانيها فيه، تقول الكاتبة: «أمّا الطبيب فكان متحمِّسًا متفانيًا في عمله. ويصرُّ علىٰ الالتزام والمثابرة، ينكبُّ ولا يلتفت لشيء، ويستهلك كلَّ وقته في علاج المرضىٰ وقضاء شؤونهم»(٢)، ويتضح اتكاء الكاتبة علىٰ الفعل المضارع الذي يفيد الاستمرار: «يصرُّ/ ينكبُّ/ لا يلتفت/ يستهلك»؛ للدلالة علىٰ تفاني الطبيب في عمله، وتجدّد مهامه، وتقديم الخدمات للمرضىٰ باستمرار دون كللٍ أو ملل.

ثالثا: الرجل المصاب بالكورونا:

من الشخصيات الرئيسة المهمة التي كان لها شأن في تحريك مجرىٰ أحداث الرواية أحد الرجال الذين أصيبوا بمرض «كورونا»، فجاء للمشفىٰ لتلقي العلاج، وكان في استقباله الطبيبة المعالجة بروحها الحانية، وتفانيها في تقديم ما بوسعها لمرضاها، وقد لفتتْ نظر هذا الرجل، فأحبها رغم ألم الداء الذي ألمَّ به، والوجع الذي فتك بصحته، فجعله طريح السرير الأبيض

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٣٦).

(٢) السابق، (ص٤٢).

يتلقىٰ الإبر المهدئة للمرض.

وتصف الكاتبة أبعاد الرجل الجسدية بقولها عنه: «طويل العماد، رفيع النجاد، عريض المنكبين، فارع الصدر، كثيف الشعر، في أغلب الظنِّ ينطق عن رجولة قاسية، ووجه مشرق بابتسامة غير متصنَّعة، ينبض حياة، وشعره الفاحم يكسو تفاصيله، ويرتِّب معالم الفحولة الناصعة في زخم الكلام المفتول، وعضلات متناسقة، ونظرة رغم كل القسوة تنقشع لتُعْرب من حين لحين عن لحظة حانية مؤبَّدة...»[1]، فأبعاد الرجل الجسدية وسماتها واضحة من خلال الشكل المتناسق، والملامح الجذابة، تتجلىٰ فيه أبعاد الرجولة، ومع ما في جسده من ألم إلا أنَّ سماته الإيجابية، وملامحه الحسنة ظاهرة لم تتوارَ عن الأنظار! مع اتكاء الكاتبة في نصِّها علىٰ بيت الخنساء في رثاء أخيها صخر:

طويـــلَ النجـــادِ رفيـــعَ العمـــادِ * ســـــادَ عـــــشيرتَهُ أمْـــــردا[2]

لتوظِّف هذا النص الأدبي في وصف الرجل الغريب الذي جاء لتلقي العلاج، وتشي بملامحه الجذَّابة، وأبعاده الجسدية المتناسقة!

أما في بُعْده النفسي، فهو لغز محير، ليس بالسهل فهمه، ولا معرفة ما يدور في خلده، تصفه الكاتبة قائلة: «صعب المراس لم أستطعْ أن أقعَ علىٰ كلِّ أسراره، فخلف الأسرار أسوار شاهقة، وفي كلِّ الأحوال لم أقعْ علىٰ مفتاح الأبواب المغلقة، تبًّا لهذا الشاهق المتعالي المتناثر في كلِّ الصفحات، متعنِّت مكابر لم يسمحْ لي أن أتوغَّل لفهم أغواره، وقرَّر أنْ يخطَّ مغامراته بنفسه بينما الكلُّ منهمكٌ في رعبه، والخوف من الموت، انهمك في تدوين مغامراته وصولاته»[3]، وقد

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص١٨ - ١٩).

(٢) ديوان الخنساء، (ص٣٠).

(٣) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص١٩).

اتخذت الكاتبة من الكنايات أسلوبًا لوصف ملامح الرجل النفسية، فـ: (الأسوار الشاهقة، والأبواب المغلقة، والشاهق المتعالي المتناثر) إنْ هي إلا كنايات دالة علىٰ غموض الرجل، وصعوبة اقتحام قلبه، ومعرفة ما يحيط به من أسرار غامضة! وهذه الأنفة والقوة والجلد عنده ناتجة عن تهكمٍ وسخرية واحتقار للفايروس، ودلالة علىٰ قوة الشخص في مصارعته للألم، وعدم الاستسلام له، وهذا أمر مشاهد في حياتنا اليومية، ولُوحظ زمن الجائحة، فهناك مَنْ أخذته الوساوس والأوهام، وزاد ألمه ألما آخر، ومنهم مَنْ اعتدل في أمره، فأخذ بالنصائح والإرشادات من أهل الاختصاص في ذلك الشأن، ومنهم من تأخذه الكبرياء والأنفة والسخرية من المرض![1]

ومن سمات البعد النفسي عند هذا الرجل ما دار بينه وبين نفسه من مونولوج داخلي، وهو حوار يقوم علىٰ فكرة الحوار الذاتي، ومخاطبة الشخص نفسه[2]، ويشكِّل حوارًا دائريًّا يبدأ من الذات ويعود إليها دون الحاجة إلىٰ إجابة عن الأسئلة المطروحة، إلَّا إذا جاء تلقائيًّا من الداخل نفسه[3]، فالرجل يخاطب نفسه قائلًا: «هذه الحانية الغانية في صمتها المتماثلة للشفاء من إنسانيتها الصامدة. ما الذي يشغلها عنِّي؟ كم من المعابر عبرتْ، ومن القرابين أشعلتْ، ومن الليالي احترقتْ؟ ما بالها لا تغازلُ ألواني القانية، ولا تغريها أحضاني؟ ما هذا الصلف والتعنُّت ضد حقيقتنا؟ لسنا إلا بشرًا من ترابٍ لازبٍ يخرج من بين الصُّلب والترائب! ألا ترحمني ولو بنظرةٍ خاطفةٍ؟ ما بال هذه المجافية غائرة في حقنها وضمادة التعقيم والأدوية؟ ألا تشعر بمعنىٰ آخر للحياة؟»[4]، فالحوار الداخلي قائم علىٰ توجيه الاستفهامات المتكررة التي لم يجد الطبيب لها

(١) انظر: مجلة القافلة، مقال بعنوان: النكتة والسخرية في زمن الوباء، صالح بن فهد العصيمي، (ص٦٦).

(٢) انظر: الحوار القصصي: تقنياته وعلاقاته السردية، فاتح عبدالسلام، (ص٧٩).

(٣) انظر: قضايا الأدب العربي، عمر بن سالم وآخرون، (ص١٢٥).

(٤) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٢١).

جوابًا! وهي تثير نفسيته، وتشتِّت ذهنه، كما وظَّفت الكاتبة النص القرآني في الحوار القصير: «من ترابٍ لازب يخرج من بين الصلب والترائب»، فهو مأخوذ من آيتين كريمتين، يقول تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ (الصافات:١١)، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ (الطارق:٧)، وكأن الرجل بهذا الاتكاء يرشد الطبيبة إلىٰ أنَّ الجميع بشر، فجميعهم سواسية، مذكِّرًا إياها بالنص القرآني الكريم الذي لا مناص للمسلم من فهم تعاليمه، والأخذ بما جاء به.

ومن الأبعاد النفسية لهذه الشخصية قول الكاتبة علىٰ لسان الرجل المريض في أثناء شدَّة مرضه عن الطبيبة: «لماذا لا تشعر بي؟ أتتجاهلني؟ ما هذا الصَّلف؟ كانت القشعريرة تهزُّه إلىٰ أماكن قصيَّة بعيدة. كان يتوجَّع ليله، وينتظر الصبح، ويتحرَّق لمرآها وكلَّما رآها غابتْ في عينيه تفاصيلها المريحة، وارتاح راحة الموت الأبدية»[1]، ففي المقطع اتكاء علىٰ الحوار الداخلي، وهو يشي بألمٍ نفسيٍّ أشد من الألم الجسدي، فالاستفهامات المتكررة، وتوجيه الأسئلة المتتابعة إشارة إلىٰ بقائه وحيدًا أعزل في مصيبة أكثر ما يحتاجه - حينئذٍ - وقوف الآخرين معه، وإحساسهم بحاجته لهم، وإعطائه شيئًا نفسيًّا يصرفه عن الألم، ويسليه عمَّا فيه من معاناة ووجع.

رابعًا: الشعب:

للشعوب العالمية أثر واضح زمن جائحة كورونا، ومشاركات متنوعة فيها، فهناك مَنْ كان يمتثل للأوامر والتوجيهات والأنظمة التي وُضعت بسبب الجائحة، من أوقات للخروج من المنزل أو بقاء فيها، وأخرىٰ بشأن النظافة والتعقيم ولبس الكمامات ونحوها.

وكان للشعب التونسي نصيبٌ من المشاركة في أحداث جائحة «كورونا» المتنوعة، وتحدثتْ عن ذلك الكاتبة في العديد من المواقف في روايتها: «مذكرات طبيبة زمن الكورونا».

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٢٢).

يتضح بداية الأمر أنَّ الشعب التونسي لم يتقبل التوجيهات بصدرٍ رحب، وخاصة الحجر المنزلي، فهو بطبيعته يحبُّ الحرية، ويكره التقييد بأيِّ شكل من أشكاله، تقول الكاتبة علىٰ لسان الشعب: «ولم نكنْ نقبل بالسجن مدىٰ الحياة، وكيف لشعب تونسَ الذي خلَّد اسمه في تاريخ العظماء وخاض حربه من أجل الحرية أنْ يبيت ليله مقيَّدًا بين جدران ملتصقة وجسده إلىٰ الحائط مصفَّد؟ وبعد قليل سيقولون له توفِّي العدد كذا. وسنموت إن شاء الله عندما يحين موعدنا، ولم يصدِّق هذا الشعب الكريم بكلِّ مواعيد الترهيب والإلحاح والإلزام والتهديد بالسجن والخطايا من أجل البقاء في المنازل حفاظًا علىٰ الأرواح البشرية»(١).

وكان حريٌّ بالشعب أنْ يستمع للتوجيهات، فهي صادرة من جهات داخلية عُليا، حرصت علىٰ سلامة الجميع، وإنْ كان في الأسلوب الأدبي شيء من المبالغة إلا أنَّ هناك إشارة واضحة بعدم الأخذ بما جاءهم من توجيهات بالالتزام بالبيوت، والأخذ بالاحترازات، والمتتبع للجائحة يعرف أنَّ بلاد تونس من الدول التي تضررت كثيرًا، وقد يكون ذلك أحد أسباب انتشار الجائحة فيها!

وأكثر ما يتجلَّىٰ في الرواية من أبعاد اجتماعية خاصة بالشعب التونسي، هو الحاجة إلىٰ طلب لقمة العيش، وخاصة الخبز الذي تكرَّر أكثر من مرة، تقول الكاتبة: «خرج أغلب الشعب الفقير إلىٰ ربه في طلب خبزه الحافي. فقط بعض القطع من الخبز يكفي لأن نبقىٰ في هذه البقعة من الأرض لنعمِّر ونسكن. لم يكنْ أبناء الشعب بلا ذاكرة ولا عقل يدبّر. نعم إنه الكوفيد19 صناعة أو بضاعة أو مرض عضال أو سعال أو ضيق تنفُّس أو مصاب قد يأتيك من العالم الغربيِّ. واحد من المخلوقات التائهة بلا عنوان ولا رسالة في الحياة»(٢)، ففي المقطع السابق يتجلَّىٰ البُعْد

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٤٦)، و(إسمه) هكذا جاءت، والصواب: (اسمه)؛ بهمزة وصل.

(٢) السابق، (ص٨٨).

الاجتماعي للشعب، وهو ما يدل علىٰ حاجتهم لطلب الرزق، وأخذ ما يكفي لسدِّ رمق جوعهم من غذاء، وخاصة الخبز الذي اعتادوا عليه، ويكاد يكون أقلَّ سعرًا، مما يدل علىٰ الفقر الذي يعيشه بعض أفراد الشعب، وليس ذلك جزمًا بأنهم يحتاجون هذا النوع من الأكل، فهو رمز لشيء بسيط يجب أن يكون سهل التناول، متوفرًا في كل مكان، يستطيع الجميع أن يحصلوا عليه دون عناء.

وتواصل الكاتبة تصوير البُعْد الاجتماعي عند الشعب التونسي قائلة: «كان لكلِّ واحد منهم همٌّ جلب الخبز الحافي لأبنائه. اختار هؤلاء موتهم لئلَّا يجوع أبناؤهم. اختاروا حياة الأسود تجوب الشوارع فما خُلقوا لحياة الجرذان والموت خلف الجدران»(١)، وفي ذلك اتكاء علىٰ أساليب متنوعة في تصوير الحالة الاجتماعية عند الشعب، فالتقديم والتأخير في قولها: «لكلِّ واحد منهم همّ»، دلالة علىٰ مكانة الشعب، ومحاولتهم توفير لقمة العيش دون الاعتماد علىٰ أيِّ أحد، ثم التصوير الذي دلَّ علىٰ رباطة جأش الشعب، فهو لا يموت قاعدًا أو متخفيًا داخل بيت أو خلف حائط ما، إنما هم يواجهون المشكلات، ويحاولون التغلب عليها بأيِّ وسيلة، مع استخدام أسلوب النفي الذي زاد من إيضاح الطريقة التي اعتاد عليها الشعب التونسي في حياتهم الاجتماعية، وسبل عيشهم في هذه الحياة.

وتصوِّر الكاتبة سمات الشعب التونسي زمن الجائحة، وكيف كانوا إيجابيين لوطنهم، وهذا بُعْدٌ اجتماعي إيجابي يحسن الإشادة به، تقول: «خارج أسوار المستشفىٰ بدأت حركة الجلبة تقوىٰ شيئًا فشيئًا، انتشر في الشوارع حفيف بعض الأقدام تسعىٰ. نشطت جمعيَّات، وخرج متطوِّعون من كلِّ مكان. سارعوا بالمدِّ التضامني. توحَّد أفراد الشعب. بادرت الحكومة إلىٰ دعم هذه الجهود ومضاعفتها. خرج أعوان النظافة في كلِّ ركن من البلاد يعقِّمون المساحات العامة

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٨٩).

والشوارع والأزقة والدكاكين والأبواب وكلَّ شيء من تراب الخضراء... وحملوا علىٰ أعناقهم البلاد كما لم يحملها أحدٌ من قبل. يشرعون في تنظيف الشوارع المقفرة من أهلها ويتواصون بالصبر. الشمس الحارقة ترسل بنور شعاعها الساطع تواكب الأجواء. لا يخلو شارع من إرادة حبِّ البقاء. اختفت النفايات وعمَّت النظافة المكان. وصرنا نشمُّ ريح مواد التنظيف ونفتقدها إنْ غابتْ عن الذاكرة»[1]، فالتطوع الشعبي في ظلِّ هذه الجائحة جاء بثمار إيجابية، تجلَّت في نظافة الشوارع والسَّاحات، والدَّكاكين، والأزقَّة وغيرها، كما أنَّ هناك ملمحًا رمزيًّا في قوله: (توحَّد أفراد الشعب)، مما يعني وحدة الكلمة بين أطياف مختلفة تجمعهم الخضراء، فقدَّموا مصلحتها علىٰ مصالحهم الشخصية، فكأنَّ في ذلك تحفيزًا للشعوب بأنْ تكون لبنةَ بناءٍ في بلدها، ولا تكون وسيلة هدمٍ وفسادٍ، مع المجيء بأفعال المضي لتكون أعمال الشعوب قد بدأت فعلًا وليس مجرَّد أفكار وأوهام: (بدأت، انتشر، نشطت، خرج، سارعوا، توحَّد، بادرت، خرج، حملوا، اختفت، عمَّت، صرنا، غابت)، مع المجيء بالأفعال المضارعة؛ للدلالة علىٰ استمرار الشعوب في تعاونها مع وطنها، والقيام بما يساعد علىٰ تجاوز هذه الجائحة: (تسعىٰ، يعقِّمون، يشرعون، يتواصون، ترسل، تواكب).

وفي ظلِّ هذه الجائحة يتجلَّىٰ البُعْد الاجتماعي عند الشعب التونسي، فقد لجأ إلىٰ ربه يطلب منه انفراج الأزمة، داعيًا الله أنْ تزول هذه الجائحة، تصوِّر ذلك الكاتبة بقولها: «لأجل مزيدٍ من الصمود ترتفع الأكفُّ متضرِّعة لربِّ السماء: «اللهم اقسمْ لنا من خشيتك ما تحولُ به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلِّغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصائب الدنيا، اللهم متِّعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقوَّاتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منَّا، واجعلْ ثأرنا علىٰ مَنْ ظلمنا، وانصرنا علىٰ مَنْ عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همِّنا، ولا مبلغ

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص١١٠).

علمنا، ولا تسلِّط علينا مَنْ لا يرحمنا»[1]، وهذا الدعاء وإن كان في ظاهره بُعْدًا دينيًّا فهو يعكس توجه المجتمع التونسي في رجوعه إلىٰ ربه، والإنابة إليه، لكشف الضر، ورفع البلاء، فهو وحده القادر علىٰ تغيِّر الحال.

خامسًا: الوزير:

يمثِّل وزير الصحة مكانة كبيرة عند أفراد المجتمع أثناء جائحة كورونا، فهم ينتظرون تصريحاته الإعلامية، ويستمعون إلىٰ توجيهاته ونصائحه، وينتظرون إيضاح ما وصل من مستجدات حيال الأزمة.

وظهرت شخصية الوزير في رواية: «مذكرات طبيبة زمن الكورونا» أكثر من مرة في بعض المؤتمرات التي تعقد لبيان ما وصلت إليه تداعيات الجائحة، فهي تُصدر التوجيهات، وتُوضِّح خطورة الأمر، وتطلب من الشعب الامتثال للأوامر، واتباع التعليمات والإرشادات والنصائح التي تصدرها وزارة الصحة.

تقول الكاتبة في روايتها: «خرج الوزير يلقِّن شعبه كل دروس الحجر الصحيّ، مذكِّرًا وداعيًا وأحيانًا مبتسمًا ابتسامة المجاهد، ولكنَّ الموقف أكبر من سطوة رجل واحد وإرادة واحدة، فقد اجتمع شمل التونسيين حول الشعب الأعزل المفقّر، ونهضت نخوة من سُباتها الأبدي. وتصافح مناضل ومكافح وبكىٰ في الخلاء عامل النظافة، ونزلتْ دموعه علىٰ ترابها، فأينعت من التراب بذرة كانت بالأمس حصىٰ عرجاء عجفاء يابسة قاحلة. أصبحت اليوم خطًّا أخضر من ماء دافق يخرج من بين المكافحين والمرابطين هنا. أينع في الماء عود أخضر تطاول. أجهد الجميع للحفاظ عليه ليصبح شعارنا: «كلنا ضد الوباء»[2].

---

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٩١).

(٢) السابق، (ص٤٧).

تمثل الجائحة خطرًا علىٰ الشعوب العالمية عامةً، والشعب التونسي بوجهٍ خاصٍّ، وأنه ليس بمقدور شخص واحد أن يقود الشعب للخروج إلىٰ برِّ الأمان، فلا بدَّ من تكاتف الجميع، والتعاون للخروج إلىٰ برِّ الأمان، فيتعاون الغني والفقير، والرئيس والمرؤوس، وجميع أطياف المجتمع؛ لكي تزهرَ الخضراء بأبنائها، وتورق الأشجار، ويبهج الناس، ويفرح الكلُّ بتجاوز المحنة، والسيطرة علىٰ الجائحة، بفضل التعاون، والإحساس بالمسؤولية من الجميع، متكئة الكاتبة في كلامها علىٰ سمات فنية، تتجلىٰ في التناص مع الآيات القرآنية في قولها: «من ماءٍ دافقٍ يخرج من بين المكافحين والمرابطين هنا»، وهذا مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ (الطارق:٧)، ولعلَّ في ذلك لمحة تشي بأنَّ أشتات المجتمع سواسية، ولا يدركون ذلك إلا زمن المصائب، فعليهم أن يتَّحدوا فالمصير واحد، ولا يعرف المرضُ ولا الموتُ أحدًا! ولعل في قولها عن الوزير «يلقِّن شعبه كل دروس الحجر الصحي/ سطوة رجل واحد» مجانبة للصواب، أو أنَّ ذلك من باب المبالغة غير المقبولة؛ لأنَّ (التلقين) يدل علىٰ القوة والسطوة، ونحن نعلم أنَّ وزير الصحة في أيِّ بلد لا تصدر منه إلا الإرشادات والنصائح والشفقة والرحمة، وليست القوة والجبروت والتلقين! ولو قالت: ينصح شعبه بالحجر الصحي وعدم الخروج من المنازل لكان أولىٰ، وليكن (التلقين) من رجال الأمن الذين يملكون الصلاحية والتوجيهات في مثل هذه الظروف، وكان لهم أثر إيجابي بالتعاون مع رجال الصحة زمن الجائحة في العالم أجمع.

ويخاطب الوزير أبناء شعبه بلغة أبوية حانية متوسلًا إياهم أنْ يلتزموا الأوامر، ويأخذوا النصائح والإرشادات، ويطلب منهم البقاء في منازلهم: «ليس هناك وقتٌ للنقاش. فقط اسمعوا ما أقول. ونفِّذوا لنحافظ علىٰ الأرواح. إنكم يا أبناء هذا الوطن العزيز أبرياء. وهذا الوباء متوحِّش. كيف أخبركم أنه سيحصد الأرواح. ابقوا في المنازل. ألم تعد المنازل تتَّسع لكم؟»[1]،

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٩٠).

ويظهر في الخطاب البُعْد النفسي للوزير فهو يشفق علىٰ أبناء شعبه، ويرجوهم أن يأخذوا التوجيهات، ويلتزموا بالحجر المنزلي، كما أنَّ أساليب الأمر التي كررها (اسمعوا/ نفِّذوا/ لنحافظْ/ ابقوا) ليست علىٰ جهة الاستعلاء، إنما هي أمل ورجاء منه لأجل مصلحتهم، ومن أجل مواجهة هذا الوباء المتفشي بين الشعوب، فهو يشبه الوحوش المفترسة التي تفتك بمن أمامها! ويتكئ في خطابه علىٰ سمات متنوعة بهدف الإقناع، فيأتي بالنفي (ليس هناك وقت للنقاش)؛ لإظهار خطورة المرض، وسرعة انتشاره، وكذلك النداء (يا أبناء هذا الوطن)؛ لإظهار شفقته عليهم، والاستفهام الإنكاري (ألم تعد المنازل تتسع لكم؟!)؛ لينكر عليهم خروجهم من منازلهم، وعدم بقائهم فيها رغم خطورة الجائحة التي تنتقل بالعدوىٰ، والغرض من تنوع هذه الأساليب: هو محاولة إقناعهم بخطورة الجائحة، وسرعة انتشار المرض، وانتقال العدوىٰ بين الناس عندما يلتقي بعضهم ببعض، فالحذر آتٍ من مخالطة الآخرين، وعلاج ذلك: هو البقاء في المنازل.

ويواصل الوزير خطابه قائلًا: «سنجلب لكم ما يسدُّ الرمق فقط بعض المال لمدة شهرين ريثما نرتب أمورنا، وننظر في حال مستشفياتنا ونجهِّزها بالأطباء والمعدّات. ريثما يجتهد شبابنا في اختراع الحلول. ريثما نجمع التبرعات. ريثما يتوافد المتطوعون ونتدارس الأوضاع. يا أبناء هذا الشعب لن أدَّخر جهدًا للإحاطة بأرواحكم الطاهرة وإنقاذها من خطر الوباء. وسلام إلىٰ شعبي أبناء الخضراء»[1]، ويظهر في هذا الجزء البُعْد الاجتماعي المتمثل في تصوير حالة المشافي في تونس، فيظهر فيها النقص الكبير في الأطباء والأجهزة، فهي ليست قادرة علىٰ مواجهة تفشي الجائحة، وازدحام المرضىٰ، فهي أقرب ما تكون بحاجة إلىٰ متطوعين من أبناء الشعب كلٌّ في مجاله، وهذا ما يشعر بعدم رضا المجتمع عن الخدمات المقدمة لهم، وخاصة من الناحية الصحية، وقد كشفت الجائحة هذا الأمر! كما يتجلىٰ البُعْد الاجتماعي في قلق الشعب بعدم توفر

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٩٠).

مخزون الطعام لديهم، فهو يطمئنهم بأسلوب العاجز عن مواجهة الأزمة، فقد وصل الحال إلىٰ الاطمئنان بتوفير ما يسدون به رمق جوعهم خلال مدة زمنية لا تتجاوز الشهرين! وهذا ما جعل الرئيس التونسي قيس سعيد يصدر قرارًا في ٣١ مارس ٢٠٢٠م بأنَّ من يحتكر المواد الغذائية يجب أن يحاسب كمجرم حرب، مضيفًا إلىٰ أنَّ الدولة ستعمل علىٰ الاستجابة لمطالب الشعب الأساسية للحياة(١).

*** المطلب الثاني: الشخصيات الثانوية:**

وهي الشخصيات التي يقلُّ مجيئها في الرواية، وأثرها في الأحداث لا يضاهي مكانة الشخصيات الرئيسة، ولا يمكن أن يقارن بها(٢)، وتكمن أهميتها في إتمام بناء السرد المتعلِّق بالشخصيات، وهي تربط فيما بين الشخصيات الرئيسة، وتساعد علىٰ نمو بعض الأحداث، كما أنها تلقي الضوء علىٰ الجوانب الخفية للشخصية المحورية، فتكشف عن أبعادها المتنوعة، وتعالج سلوكها، وقد تكون تابعة لها، وتدور في محيطها، فتعين المتلقي علىٰ فكِّ طلاسمها، وفهمها عن طريق التفاعل معها ومشاركتها الأحداث(٣)، وقد تتغير في علاقاتها مع بقية الشخصيات في الرواية، أما تصرفاتها فهي ثابتة، وهادئة، فلا تفاجئ القارئ، ولا تبهره؛ لأنَّ أفعالها واضحة غير مدهشة، ولذلك تسمىٰ: الشخصية الجاهزة، أو المسطحة(٤).

وقد تحمل الشخصيات الثانوية آراء المؤلف أحيانًا(٥)، وتكون متفرقةً في أجزاء الرواية، وتساعد الشخصية الرئيسة في أداء مهمَّتها، وقد تتسم بالإيجابية، فتشارك في صناعة الأحداث،

(١) انظر: صفحة الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) علىٰ الرابط الشبكي: https://cutt.us/o5KSl

(٢) انظر: بناء الرواية عند حسن مطلك «دراسة دلالية»، (ص١٠٨).

(٣) انظر: غسان كنفاني: جماليات السرد في الخطاب الروائي، صبحية عودة زعرب، (ص١٣٢).

(٤) انظر: معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، (ص٢١٢).

(٥) انظر: النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، (ص٥٣٣).

أو السلبية فتتسم بالجمود، وتمرُّ بها الأحداث دون أن تتأثر فيها[1]، وأهم الشخصيات الثانوية التي جاءت في رواية: «مذكرات طبيبة زمن الكورونا» ما يأتي:

أولاً: رجال الأمن:

شخصيات ثانوية إيجابية، تقوم بمهامها الموكلَة إليها في ضبط أمن الدولة، وتتبع المخالفين، ولها أثر إيجابي زمن الجائحة، وخاصة فيما يتعلَّق بوقت الحجر المنزلي، ومراقبة الشوارع، والساحات، والأسواق، وغيرها؛ للتأكد من حصول أفراد المجتمع علىٰ تصاريح تسمح لهم بالخروج من منازلهم لظرفٍ ما.

وجاءت هذه الشخصية مرتين في رواية: «مذكرات طبيبة زمن الكورونا»، تقول الكاتبة: «مرَّت دورية الأمن في إحدىٰ ضواحي العاصمة. ترسم في الأزقة المظلمة إشراقة أمل. مهما حصل، للدولة هيبتها، الأمن الوطني بكلِّ تشكيلاته امتدَّ كالظلال في الشوارع يقتفي أثر السيد «كوفيد»»[2]، ويظهر في هذه الشخصية البُعْد الاجتماعي، فهي تنبئ عن طبيعة عملها، وإعطاء الدولة هيبتها، كما أنَّ هناك إشارة إلىٰ البُعْد النفسي لها، فهي تعطي الشعب إشراقة أمل، وفأل خيرٍ في تجاوز الصعاب وقت المحن.

وفي موضع آخر تقول: «لحق بالأطباء جنود الخفاء. وقد خرجوا من زيِّ المتخفِّي وظهروا للعيان في كلِّ شارع وضفَّة، وعلىٰ قارعة الطريق جنود الخضراء من جيش وأمن و...»[3]، ويتجلَّىٰ البُعْد الاجتماعي هنا في طبيعة عمل رجال الأمن، فقد يكون عملهم ظاهرًا للعيان، وقد يكون خفيًّا غير ظاهر حسب طبيعة عمل كلٍّ منهم، وعلىٰ الرغم من تنوُّع الدوائر الأمنية في البلد إلا أنه

(١) انظر: غسان كنفاني: جماليات السرد في الخطاب الروائي، (ص١٣٣- ١٣٤).

(٢) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٩٢).

(٣) السابق، (ص٩٣- ٩٤).

يجمعهم هدف واحد، وهو: حفظ الأمن في تونس الخضراء، وتقديم الخدمات للشعب، ومحاولة التغلب على هذه الجائحة بالوقوف والمساندة لرجال الصحة أصحاب الميدعة البيضاء.

ثانيًا: الأب:

من الإيجابيات التي سجلتها الجائحة أنَّ شمل أفراد الأسرة اجتمعَ كثيرًا في المنزل، وأصبحوا يتناولون وجباتهم الغذائية اليومية معًا، ويتجاذبون أطراف الحديث فيما بينهم في شتىٰ الموضوعات، فلا خيار أمامهم سوىٰ البقاء في المنزل والامتثال للأوامر والتوجيهات.

وكان علىٰ رأس الهرم (الأب)، فهو العمود الفقري للأسرة، وجاء ذكره في رواية: «مذكرات طبيبة زمن الكورونا» ثلاث مرات، تقول الكاتبة: «في الشرفة الأخرىٰ يعلو ضجيج العائلة، وكلٌّ إلىٰ غايته يركب المنىٰ. الأب وسط الجعجعة حائرٌ لا يستطيع أن يتحكَّم في الحوار المحموم»(١)، وفي مكان آخر تقول: «ويرتدُّ صوت الأب من قعر التلاشي والضياع، ويلقي بصوتٍ حاسم أوامر الغَلْق والحجر في الغرف»(٢). ويظهر البُعْد الاجتماعي للأب في المقطعين السابقين، فهو (الأيقونة) التي تدور حولها أحداث البيت، وتصدر منه الأوامر والنواهي، وقوله الفصل والحسم في شؤون الأسرة، وهو مَنْ يحترق من الداخل ليرضي جميع الأطراف، ويحاول تهدئة الأمور قدر الاستطاعة، فإنْ لم يحصل جاءت القوة والسطوة التي تجعل الأمور هادئة من قبل الأطراف جميعًا، ويلحظ أنَّ الكاتبة ركَّزت علىٰ الفعل المضارع: (يعلو/ يركب/ لا يستطيع/ يتحكَّم/ يرتد/ يلقي)؛ للدلالة علىٰ أنَّ أحداث الأسرة مستمرة متنوعة، فما يهدأ منها اليوم قد يثور في يوم آخر، وما يتمُّ الفصل فيه قد يتجدَّد بطريقة أخرىٰ يومًا ما، ويظلُّ الأب في

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٦٥).

(٢) السابق، (ص٦٥).

مكانته الأُسرية، ومسؤوليته الاجتماعية الحصن المنيع لأولاده، والذي يحاول أن يهدِّئ الأمور قدر الاستطاعة في ظلِّ جائحة جعلت النفوس متأججة؛ نتيجة الحجر المنزلي، الذي جعل الأفراد كلهم قابعين في المنزل في آنٍ واحد.

وفي موضع آخر تصوِّر الكاتبة شخصية الأب، ومكانته في الأسرة: «أصبح الأب أكثر العناصر ابتزازًا من الجميع، الكلُّ حسب مواهبه في الإقناع بين مربِّت بالأكف وصارخ في العراء. ومحبٍّ ملاطف، وباكٍ من شدة البراءة، وفي النهاية يحصلون على ما يريدون. تعمُّ الجلبة في الغرفة المشتركة. وتعلو الأصوات، وينتصر العراك، وتمتدُّ الأيدي وتختلط الأسماء، ويتحوَّل الوالد إلى حكم علَّه يهدِّئ النفوس الحائرة»(١)، وهذا جزء من عمل الأب ومهامه تجاه أسرته زمن الجائحة، فهو قاضٍ يستقبل شكاوى أفراد الأسرة، ويحلُّ مشاكلهم، ويفصل بين نزاعاتهم، وبذلك تظهر مكانة الأب في الأسرة، فهو شخصية تفصل في الخلافات الطارئة، ويأخذ الجميع حقهم بقناعة أو غير ذلك، ففي شخصيته اجتمعت عدة سمات، فهو رحيم لطيف مع الجميع، وعند اشتداد الأزمة ينقلب إلى شخص قوي يفصل في الأمور وفق نظرته؛ لتهدأ الأمور، وتستقرَّ الأوضاع، وتعود الأمور إلى طبيعتها بين الأبناء في ظلِّ قوة يخضع لها الجميع.

ثالثًا: الأم:

ليس للأم أثر في رواية: «مذكرات طبيبة زمن الكورونا» إلا في موضع واحد فقط، جاء عرضًا في أثناء الفصل في الخصومة بين الأبناء أثناء الحجر المنزلي، وكثرة الخلافات بينهم، تقول الكاتبة: «يتحكَّم في رغبات إخوته. تتدخل الأم لتحسم الخصومة»(٢)، وهذا الفصل في ظلِّ غياب الأب – الحاكم الأول في الأسرة – عن الخلاف الطارئ؛ فتتدخل الأم لتهدئة الأمور، وتحسم

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٦٦).

(٢) السابق، (ص٦٥).

الخلاف، ولا يظهر في هذه الشخصية إلا البُعْد الاجتماعي الخاطف، وهو أثر الأم السريع في حسم خلاف أبنائها لحظة غياب الأب، وهو حل طارئ إنْ لم ينته عاجلًا، فسيكون الحسم مؤقتًا حتىٰ مجيء صاحب كلمة الفصل في ذلك، وهو السلطة الأسرية النافذ قراراتها في مثل هذه الأمور.

رابعًا: الإخوة:

جاء أثر الإخوة ثانويًا في الرواية، ولم يأتِ إلا عرضًا مرة واحدة في قول الكاتبة: «الإخوة علىٰ الأرض يتلاكمون، وتعلو جلبتهم... تضطرم نيران الشّجار عندما يحتج الأكبر سنًّا كونه أحقّ بتسيير نظام البيت، يتحكَّم في رغبات إخوته»(١)، ففي المقطع تصوير لحال الأُسر أثناء الحجر المنزلي زمن الجائحة، وبيانٌ للبُعْد النفسي للإخوة، فالخلافات طبيعية جدًّا، وتحدث في جميع البيوت، ما دام الجميع مع بعض تحت سقف واحد، تجمعهم أحداث كثيرة، وأزمنة طويلة، فهم ليسوا بأفضل من يوسف وإخوته الذين دبَّ الخلاف بينهم، ولكن سرعان ما تهدأ الأحداث والنفوس، ويدرك الجميع أنهم تحت مظلة واحدة، وسقف واحد، يجمعهم النسب والأخوة، فتعود المياه إلىٰ مجاريها، ويعرف الجميع أنهم كانوا علىٰ ضلالة؛ بسبب هذا الخلاف الطارئ مؤقتًا!

خامسًا: الأبناء والأطفال:

جاء ذكر الأبناء والأطفال عرضيًّا في موضع واحد، فليس لهم أي ذِكْرٍ أو أثرٍ في أحداث الرواية، تقول الكاتبة في أثناء الحديث عن الأم مع أفراد الأسرة أثناء الحجر المنزلي زمن الجائحة: «تعيد ترتيب أولويات الأبناء. تقتصد في توفير متطلبات الحياة. عليها أنْ تراعيَ الظروف النفسية التي دفعت الأطفال إلىٰ الأكل وإعداد الطعام وما يشتهون، فينفرون للمطبخ إذا

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٦٥).

طال المكوث في الغرف، ويسأمون من شبكات التواصل الاجتماعي ومن حديث الصَّحب والرفاق والخلّان وحديث الشاشة. تعلَّموا كيف يقسِّمون يومهم الكئيب في سجن الجدران الأربعة. الوحدة ثم الانزواء والانطواء. مجرَّد الخروج من غرفهم والالتفاف حول مائدة الطعام يجبرهم علىٰ الحديث المحموم، وتعلو الأصوات، ويرتبك الجميع في كيفية التواصل. بدأت العلاقات رغم القرب والأخوّة تتلاشىٰ، وبدأت تظهر علىٰ الأطفال عدائية لم تكن قبل موجودة، الجميع في كيفية الحصول علىٰ مبتغاه»[1]، ويظهر في هذا النصِّ السرديِّ القصير البُعْدُ النفسيُّ للأبناء وخاصة الأطفال منهم زمن الجائحة في ظلِّ الحجر المنزلي، فقد كانت النفوس منغلقة علىٰ نفسها، ملَّت من روتينها اليومي، لا تتقبَّل نقاشًا ولا حوارًا مع أقرب الناس إليها، يعجبها الأكل أحيانًا، وتنفر منه أحيانًا أُخر، مستعينة الكاتبة بالفعل المضارع الذي يدلُّ علىٰ استمرار المشكلة، وتكررها يوميًّا من خلال الأفعال: (تعيد/ تقتصد/ تراعي/ يشتهون/ ينفرون/ يسأمون/ يقسمون/ يجبرهم/ تعلو/ يرتبك)، فهذه الأفعال تشي بالنفس الممتلئة ضيقًا وتبرّما من الحجر المنزلي، ومن المشكلات التي تقع بين الأبناء؛ بسبب أدنىٰ الأمور تفاهةً، وأقلها أهميةً وشأنًا. كما أنَّ في هذا النص القصير ملمحًا وبُعْدًا اجتماعيًّا زمن الجائحة، وهو التردُّد علىٰ المطبخ من قبل أفراد الأسرة، وخاصة الأبناء، فهذا يصنع مأكولًا، وآخر مشروبًا، وآخر يسلِّي نفسه ويقضي بعض وقته في هذا المكان!

سادسًا: العجوز والشابة:

شخصيتان ثانويتان، وليس لهما أثر في أحداث الرواية أو توجهاتها، ولم يردا إلا مرة واحدة في حوار خارجي تناوبا في الحديث بينهما عن مواضع السعادة في هذه الحياة، ومما جاء فيه:

«- الشابة: السعادة أنْ أحظىٰ بكلِّ ما أشتهي. رجلٌ وسيمٌ. مسكنٌ لائقٌ، عملٌ يدرُّ مالًا،

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٦٥- ٦٦).

تجوالٌ، سفرٌ، حظٌّ...

- العجوز: وهل تجدين لهذه الأشياء معنىً ونحن في الحجر الصحي؟

- ما نفع العمل وأنت مكبَّل إلىٰ الجدران؟ وما نفع الرجل الوسيم وأنت ممنوع حتىٰ من القُبَل؟ وما نفع المال عندما يقولون لك ستدفن والعائلة لن تودِّعك؟

- أرأيت: إذن الحياة ليست الرجل ولا العمل ولا المال.

- الشابة: وما الحياة إذًا؟

- العجوز: إنها صندوق ذكريات زهْريٌّ حوِّلي كلّ محتوياته إلىٰ لحظات سعادة، امنحيها لغيرك، وعندما يسعدُ من حولك ستكونين أسعد من الجميع، ولن تندمي علىٰ أيِّ لحظة فاتتْ لم تقدِّري فيها قيمة الزمن»[1] إلىٰ آخر الحوار الخارجي الذي تجلّىٰ فيه البُعْد الاجتماعي لكلٍّ من الشخصيتين في تفكير كلٍّ منهما في هذه الحياة، وما الذي يجلب السعادة للإنسان، وينتهي الحوار بتقديم النصح من العجوز التي عاشت السنين الطوال وعرفت الدنيا وأحوالها إلىٰ الشابة التي لم تفهم الحياة بَعْد، وتخبرها بأنَّ قيمة الحياة فيما يقدِّمه المرء من خدمات للآخرين، وما يزرعه من ابتسامة في نفوس المساكين، وليس في تفكير الإنسان بنفسه، والأنانية في ذلك! فأسلوب الحوار في النصائح مناسب، وكان حوارًا سريعًا هادئًا تربويًّا، تجلَّت فيه الإنسانية في أبعادها، ولجأت العجوز فيه إلىٰ الإقناع بالحجة والبرهان.

***

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٦٣).

المبحث الثاني
علاقة الشَّخصيات بالعناصر السَّردية الأخرى

تعدّ الشخصية أهم عناصر الرواية، والمرتكز الذي تدور حوله بقية عناصرها الأخرىٰ، ودونها فإنَّ العمل السردي يقترب إلىٰ المقال كثيرًا، ويكون بعيدًا عن الإبداع الروائي(١).

وللشخصية صلة بجميع عناصر البناء السردي الأخرىٰ من: زمان، ومكان، وحدث... ولا يبتعد عن أيٍّ منها؛ نظرًا لارتباطها مع بعض في بناء العمل الروائي، وتتمثل العلاقة بين الشخصيات وأهم العناصر السردية الأخرىٰ في المطالب الآتية:

*** المطلب الأول: العلاقة بين الشَّخصيات والحدث:**

الحدث: هو ما تقوم به الشخصية الروائية من أفعال داخل الرواية، وتمنحه سمات معينة يختص بها عن غيره(٢)، وترتبط الشخصية بالحدث ارتباطًا قويًّا، وتمثِّل العلاقة بينهما «عصب الحكاية الرئيس»(٣)؛ فلا وجود للحدث خارج مفهوم الشخصية؛ لأن الذي يُحرِّك أحداث الرواية هو الشخصية، كما أنَّ الأحداث تصف أبعاد الشخصية المختلفة، وتضعها أمام المتلقي؛ ليتعرف عليها، ويفهم كنهها، ويدرك أثرها في بناء الرواية، وبذلك يظهر أثر الحدث في تحديد الفعالية السردية للشخصية، فهما عنصران لا يفترقان في بناء الرواية(٤)؛وهي بذلك تعد «مجال المعاني التي تدور حولها الأحداث، وبدونها تضحي الرواية ضربًا من الدعاية المباشرة، والوصف التقريري،

---

(١) انظر: بنية السرد في القصة القصيرة «سليمان فياض نموذجا»، أ. نبيل حمدي الشاهد، (ص١٧).

(٢) انظر: المكان في الرواية البحرينية، فهد حسين، (ص٤١).

(٣) المكان في الرواية «بحث في قصصية المكان»، (ص٧٣).

(٤) انظر: جماليات التشكيل الروائي: دراسة في الملحمة الروائية «مدارات الشرق» لنبيل سليمان، محمد صابر عبيد ود. سوسن البياتي، (ص١٥٤).

والشعارات الجوفاء الخالية من المضمون الإنساني المؤثر في حركة الأحداث، فالأفكار تحيا في الشخصية، وتأخذ طريقها إلىٰ المتلقي عبر أشخاص معينين لهم آراؤهم واتجاهاتهم، وتقاليدهم في مجتمع معين، في زمن معين»[1].

ويظهر أثر الأحداث علىٰ شخصيات رواية: «مذكرات طبيبة زمن الكورونا» في تصوير الكاتبة الحالة البائسة للطبيبة قائلة: «حلَّ الوباء بهذه الديار الوحيدة الغريبة، واستقرَّ الأطباء، واستفحل الدَّاء، وأصاب الجميع شيءٌ من الهلَع والذُّعر، ولأول مرة لم تعد الطبيبة مهتمَّة بزينتها، وعدَّلت مشيتها، واقتصدتْ في غنجها، فلا حاجة للتفكير في أنْ يُعجبَ بها زميل»[2]. فهذا الحدث العالمي أصاب الجميع بالهلع، وخاصة شخصية الأطباء الذين باشروا حالات المرضىٰ في مشافيهم، وتعرضوا إلىٰ ضغط نفسي يومي يجعلهم لا يفكرون بأنفسهم، ولا بزينتهم، ولا بأحوالهم الشخصية!

ويشتدُّ الحدث الخاص بالجائحة، فيأخذ جلَّ وقت الطبيب أثناء تأدية عمله؛ للاطمئنان علىٰ مرضاه، ويزداد هوسه منه، وصوَّرت الكاتبة ذلك بقولها: «الساعة العاشرة صباحًا ما يزال الطبيب يجول في غرف المرضىٰ وقد زاد هوسه من الفيروس، أخذ يعقِّم مكتبه مرة أخرىٰ، وعقَّم هاتفه وأدوات العمل والأقلام والأوراق وأزرار الميدعة البيضاء والنظارات. ورسم علىٰ محيّاه ابتسامة المنهك يريد أنْ يرتاح قليلا»[3]، فعناصر البناء السردي تجتمع في هذا المقطع القصير، فحدث الجائحة كبير، وأخذ من شخصية الطبيب زمنًا ليس بالنزر ولا القصير، فهو يتابع مرضاه، ويطمئن عليهم جميعًا، ويعقِّم جميع الأمكنة المحيطة به، وكلُّ ذلك جاء بشكلٍّ تصويري بديع من الكاتبة؛ لتعطي تصورًا عن الجائحة، وأثرها علىٰ البشرية وما يحيط بهم!

(١) بناء الرواية، د. عبدالفتاح عثمان، (ص١٠٧).

(٢) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٤٠).

(٣) السابق، (ص١٧).

وفي موضع آخر، نجد أنَّ الحبَّ الذي نشأ بين الطبيبة والشخص الذي نقل لها العدوىٰ يغيِّر من مجرىٰ الأحداث، ويحركها إلىٰ عالم آخر، نشأت عنه مستجدات في الرواية، تقول الكاتبة علىٰ لسان الطبيبة: «ليتك فقط تصمتْ فكلُّ كلامك سهامٌ في قلبي تستقر. ليتك فقط جئتَ قبل الآن. ليتها فقط لم تكن الكورونا مرضًا قاتلًا. ليتك تبقىٰ سأهديك ضفائري وأشعاري وقلبي المشتاق. ما كنتُ أعلم أنَّ الحبَّ فيك كالبركان، وأني حنطتُ قلبي في وهم الأشواق. لقد أفاق طائر الفينيق علىٰ يديك بكلِّ الأركان والزوايا، هذا القلب أحياني من رماد، وبعثني من جديد للحياة، نمْ نوم المودِّعين علىٰ صدري سأدفنك في قلبي. نمْ نوم الطفل للأبد»[1]، فهذا الحدث (الحب)، غيَّر من مجرىٰ الرواية بسبب دخول شخصية غريبة علىٰ شخصية أخرىٰ كانت تحبُّها الطبيبة وهي شخصية الطبيب، فغيرت مجرىٰ الأحداث، وأصبحت تهيم حبًّا بهذا المريض علىٰ الرغم من نقله المرض إليها عن طريق العدوىٰ، ولكنها أحست بكيانها حينئذٍ، وأنها أنثىٰ تستطيع أن تجذب أنظار الرجال، وتنسىٰ بذلك الطبيب الذي لم يفكِّر بها يومًا ما مع أنها كانت تتقرب إليه، وتحاول أنْ تجذبه إليها، ويتأكد ذلك جليًّا أنَّ الطبيب السابق حاول أنْ يتقرب إليها بعد فوات الأوان، وبعد أنْ فارق المريض الحياة، وقطعت وعدًا أنْ لا تنساه أبدًا؛ لأنه هو مَنِ انتصر لأنوثتها، فالطبيب الذي حاول أنْ يعود لها مجددًا، ويقترب منها لحظة مرضها، ويساعدها علىٰ تجاوز محنتها لم تلقِ له بالًا: «أفاقتِ الطبيبةُ علىٰ وقع ملمس أيدي زميلها ترقُّ وتعيد ترتيب جسدها تحت الملاية البيضاء. لم تستقبل الخبر بفرح. لا خبر عودتها للحياة، ولا خبر وجوده بالقرب منها مع كلِّ هذا السَّخاء، فبعض الأشياء عندما تصل بعد وقتها تفقد كلَّ قيمتها»[2]، إنها النفس البشرية التي يصعب رجوعها إلىٰ طبيعتها الأولىٰ متىٰ ما فقدت الشيء.

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص١٠٧).

(٢) السابق، (ص١١١).

كما يتجلَّىٰ الحدث وتأثيره علىٰ عناصر البناء السردي، وخاصة الشخصية وأبعادها المختلفة في قول الكاتبة: «اندفعتْ صاحبةُ الميدعة البيضاء مبكرًا إلىٰ قاعة الاجتماع. كلُّ شيء فيها جميل منسَّق بسيط ينمُّ عن حرص وذكاء وبراءة»[1]، فالحدث (الاجتماع)، ومكانه (قاعة الاجتماع)، وأثَّر الحدث علىٰ عنصر الزمن، فنتيجة حرصها علىٰ الحضور جاءت إليه في زمن مبكر، كما أنه أثَّر علىٰ الشخصية في بُعْدها الجسدي فجاءت إليه بجمالها الآسر المتناسق، مع ما تتسم به من بُعْد نفسي نتيجة أوصاف عدة: الحرص، الذكاء، البراءة، وهكذا تُبنىٰ العملية السردية الروائية في ترابط عناصرها، واتكاء كل واحد فيها علىٰ الآخر، لإحكام البناء السردي دون ابتعاد عنصر عن الآخر.

*** المطلب الثاني: العلاقة بين الشخصيات والزمن:**

للزَّمن أثرٌ في تكوين أبعاد الشخصية الروائية، سواءً أكانت جسديةً، أو فكريةً، أو اجتماعيةً، أو نفسيةً[2]، وتأتي الأزمنة في الرواية علىٰ عدة أنواع منها: الزَّمن النَّفسي الذي يعتني بعالم الشَّخصية الداخلي[3]، وهو زمنٌ يعود إلىٰ تقدير الشخصية، فإمَّا أنْ يكون سعيدًا، أو حزينًا.

فمثال الزمن السعيد عند الشخصية في رواية «مذكرات طبيبة زمن الكورونا» قول الكاتبة: «رجل يمرُّ كغيمةٍ وسط شمس وضوضاء من الحرِّ، وأرض قاحلة من الزمن... لا يضيع وقتًا، ولا يهدر من اللحظة عمقها»[4]، فهذا الرجل الغريب يحمل في طياته زمنًا مشرقًا للطبيبة بعد زمنٍ قاحلٍ من الذكريات لها مع الطبيب الذي لم يلقِ لها بالًا، فهو يقدِّر الوقت، ويعطيه حقَّه، ولا

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٧٩).

(٢) انظر: الزمن في الرواية العربية، د. مها حسن القصراوي، (ص١٤٩- ١٥٠).

(٣) انظر: المكان في الرواية البحرينية، (ص٤٨).

(٤) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص١٩).

يضيع سدىٰ دون أن يتقدَّم إلىٰ تحقيق هدفه، والحصول علىٰ مبتغاه رغم ما به من ألم الإصابة بكورونا.

ومن الزَّمن السَّعيد في الرواية: تصوير الكاتبة اللَّحظات التي يجد فيها الرجل المصاب بالكورونا ملمس أصابع الطبيبة وهي تعالجه من حمىٰ المرض، تقول: «في تلك اللحظة أسعفتْهُ بإبرة علَّها تخفض الحرارة المرتفعة فكلُّ ما به هلوسة من أثر الكوفيد «التاسع عشر» الذي اقتحم الرئتين وانصرف إلىٰ جدار القلب ليفتكَ به. كان ملمس أصابعها علىٰ ذراعه يعطي لوجوده معنىٰ، كان كلُّ ما يتمناه تلك اللحظة»(١)، فعلاقة الشخصية بالزمن من خلال ما يشعر به من ارتياح نفسي لحظة قيام الطبيبة بمداواته، وهذا عامل رئيس في رضا النفس وقناعتها بما فيها، فقد يكون الإنسان عليلًا وهو لا يشكو من شيء إنْ هي إلا وساوس وأوهام نفسية، وقد يكون عكس ذلك كما هو مع هذا المريض الذي يشعر بالرِّضا عن حاله متىٰ ما جاءت اللحظة التي تقوم الطبيبة بإعطائه حقنةً للتخفيف من الآلام، ومع ارتباط الزَّمن بالشخصية، فإنَّ الحدث وهو إصابته بالمرض مرتبط بهما أيضًا، وكذلك عنصر المكان، فـ«الرئتين، والقلب» من الأمكنة الموجودة في جسم الإنسان تعاضدتْ كلُّها في سبيل الوصول إلىٰ بنية سردية مترابطة، مع الاتكاء علىٰ بعض الصور في سيرورة أحداث الرواية، وذلك في قولها عن المرض بأنه: (اقتحم الرئتين وانصرف/ جدار القلب / يفتك به)، وكأنها تصوِّر شخصًا يقتحم شيئًا ما، أو حيوانًا مفترسًا يفتك بما أمامه، والقلب كأنه بيت له جدار، وجميع ذلك يساعد علىٰ شدِّ ذهن المتلقي، وإثارته لمتابعة أحداث الرواية بلغة فنية جاذبة.

أما الزَّمن الحزين فهو الغالب في الرواية، ومن ذلك: ما يتعرَّض له الأطباء يوميًّا في عملهم من ضغوطات تجعلهم لا يفكِّرون بأنفسهم، ولا بزينتهم، تصوِّر الكاتبة الحالةَ البائسة للطبيبة في

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٢١).

قولها: «حلَّ الوباء بهذه الديار الوحيدة الغريبة، واستقرَّ الأطباء واستفحل الدَّاء، وأصاب الجميع شيءٌ من الهلع والذعر، ولأول مرة لم تعد الطبيبة مهتمة بزينتها، وعدَّلت مشيتها، واقتصدتْ في غنجها، فلا حاجة للتفكير في أنْ يعجبَ بها زميل»(١).

وفي موضع آخر من الرواية تصف الكاتبة الضغوط النفسية عند الطبيبة قائلة: «صاحبةُ الميدعةِ البيضاء تكمل ما بقي من وقت العمل في مكتبها علىٰ كرسيٍّ متعبٍ من حمل أوزار قلبها المتيم»(٢)، فهذا المقطع الصغير تتآزر فيه عناصر البنية السردية من شخصية (صاحبة الميدعة البيضاء)، وزمن حزين (ما بقي من وقت)، ومكان ضيق (في مكتبها علىٰ كرسي متعب)، وحدث (العمل)، وفي ذلك دلالة علىٰ حاجة كلٍّ عنصر للآخر وارتباطها مع بعض؛ لإحكام البناء السردي في الرواية.

كما أنَّ شخصية الطبيب ترتبط بالزمن ارتباطًا وثيقًا بتذكّر ماضيه، وتفكيره فيه، وخاصة إذا كان مما يؤثّر علىٰ نفسيته، ويكون ذا أثر علىٰ عمله: «وعيونُ الطبيب غائرةٌ في ماضيه، حزينٌ مغرقٌ في عمله بكلِّ تفانٍ لينسىٰ حزنه»(٣)، فالشخصية تعيش أيامها ولياليها وتتأثَّر بما فيها من أحداث، وقد أثَّر الصدود الحاصل من الطبيبة فيما عاشه الطبيب من أيام سالفة علىٰ نفسيته، علىٰ الرغم من محاولة نسيان ماضيه، والانهماك في عمله، وتقديم خدماته لمرضاه.

وتصف الكاتبة مرور الأيام والليالي علىٰ الفتاة التي تنتظر فارس أحلامها، تقول: «وتجدُ وسط معترك العمل والحياة اليومية المسترسلة مساحةً لمراجعة مشاعر الودِّ والصبابة، كانت تتحرَّق شوقًا، وكلَّما تقدمت الأيام والليالي تزداد ثقة أنَّ ما بها ليس وهمًا، وتوقن كلَّ اليقين أنَّ

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٤٠).

(٢) السابق، (ص٦٠).

(٣) السابق، (ص٤٨).

رجلها الأوحد سيشعر يومًا ما بما تحمله من صدق يسكن بين الضلوع، وينمو ويسابق الزمن ويكبر»[1]، فهذا هو الزمن الحزين البائس الذي عاشته الطبيبة وهي منهمكة في عملها دون أن تجد مَنْ يعتني بشعورها النفسي والعاطفي، فهي شمعة تكاد تحترق، تمر الأيام دون توقف، ولم ترَ أيَّ بارقة أمل لما تحلم به!

وهناك زمنٌ وصفيٌّ، وهو عبارةٌ عن تقديم صورةٍ ذهنية للقارئ عن زمن الحالة الوصفية للشخصية، والمدَّة الزمنية التي قطعتها للقيام بالأفعال المنوطة بها في الرواية، وما تعرَّضت له من أحداث فيها[2]، ومن ذلك وصف الكاتبة لأوقات الأطباء، تقول عن الطبيبة: «ويحتار المتجاسر في ما يكتبُ عن طبيبةٍ تنفق عمرها في الكتب»[3].

وتصف الكاتبة المرحلة العمرية للطبيبة، وكيف تمرُّ أوقاتها، ويفوتها ما تأمله أيُّ فتاة: «تلك الطبيبة أنفقت عمرها تدرس. واستنزف الطموح أحلىٰ أيامها. ولم تحظَ بزوجٍ يستر ما لذَّ منها وطاب حتىٰ إنها تتجمَّل كل صباح ولا تجد إلىٰ الحياة الكريمة مستراحًا»[4].

ولا تبتعد أوقات الأطباء عن أوقات الطبيبات، فهم في مسارعة مع الزمن في طلب العلم والقراءة ومتابعة كل جديد: «نفس الملاءات البيضاء والمرضىٰ الضعفاء والممرضين وقد سحقتهم الحياة، والأطباء وقد دفعوا حياتهم علىٰ طاولات العلم، ليجدوا أنفسهم جيشًا أعزل يحارب دون سلاح، وفيهم من آثر الرحيل لساحات أخرىٰ في بلدان مجاورة، وفيهم من آثر البقاء يحرس الأوجاع، ولا يتعب من الميدعة البيضاء، ويئنُّ مثله مثل المرضىٰ»[5]، فأوقاتهم حافلة

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٤٤).

(٢) انظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (ص٤٣٣).

(٣) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٢٢)، و(في ما) هكذا كتبت، والصواب: فيما.

(٤) السابق، (ص٣٨).

(٥) السابق، (ص٣٨).

بالعطاء، بين مشقة عمل، وانهماك في القراءة؛ لتطوير الذات، وملاحقة الركب العالمي المتطور في شتىٰ المجالات.

*** المطلب الثالث: العلاقة بين الشخصيات والمكان:**

يعدُّ المكان أحد العناصر الفاعلة في البناء السَّردي، وله علاقةٌ بالشخصية من حيث وقوع الأحداث الخاصة فيها في محيطه، كما أنَّ هناك أثرًا واضحًا للمكان في سمات الشخصية، وثقافتها، وتفكيرها، وانتمائها، فالعلاقة بينهما من منظورٍ سرديٍّ يُوجب قيام الفعل السرديِّ بتقنيات تربطهما مع بعض، فالشَّخصيات تظهر في مكان واضح يحدِّد تحركاتها، ولا وجود للمكان ما لم يكنْ هناك أفعال حركية تقوم بها الشخصيات(١)، فالعلاقة بينهما يساعد علىٰ فهم العمل الروائي، ويحدِّد سمات الفضاء من منطلق نظرة الشَّخصية الروائية له(٢)، وأستطيع أن أصنف الأمكنة التي جاءت في رواية: «مذكرات طبيبة زمن الكورونا» حسب علاقتها بالشخصيات ضمن الأمكنة السلبية، وهي الأمكنة التي تضجر بها الشخصية، وتضيق منها، ولا ترتاحُ إلىٰ الجلوس فيها، فهي لا توفر راحة ولا هناء، ومثال ذلك: المكان الذي تأوي إليه الطبيبة لتلتقط أنفاسها بعد جهد ومشقة وعمل دؤوب مستمر في متابعة المرضىٰ: «كانت تُلقي بجسدها إلىٰ مكتبها المتواضع في مستشفىٰ الرابطة في قسم الإنعاش في المدخل في منعطف صغير، وكان المكتب لا يتحمَّل بحجمه الضَّئيل أوجاع روَّاد القسم، بينهم مرابط وفار ومارٌّ عن شبه دواء يسأل»(٣)، فجميع الأوصاف التي جاءت بها للمكان سلبية، فالمكتب متواضع، والقسم خاص بالحالات الإنعاشية، وموقعه في مكان ضيق!

(١) انظر: البنية الروائية في نصوص إلياس فركوح - تعدد الدلالات وتكامل البنيات، (ص١١٨).

(٢) انظر: بنية الشكل الروائي (الفضاء - الزمن - الشخصية)، حسن بحراوي، (ص٣٢).

(٣) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٣٥).

وتصور الكاتبة أقسام بعض المستشفيات قائلة: «في ذلك القسم الذي يُسَمَّىٰ قسم الإنعاش لا يوجد إلا ثلاثة أسرّة مجهَّزة لإنعاش المرضىٰ، وواحدٌ من الأسرّة الثلاثة معطَّب، وثانٍ استفحل فيه الصَّدأ، وثالثٌ يصلح فقط للنوم، وبينما المرضىٰ يتوافدون في هدوء الراحل إلىٰ ديارٍ أخرىٰ، وبكلِّ صبر يرحلون إلىٰ المنتهىٰ، وتزول آلامهم للأبد، يتعثَّر الطبيب، وتتشاءب الطبيبة في مكتبها، وترفع هاتفها تُكلِّم أحد الأطباء وتنتظر منه ابتسامةً تُلقي بعدها بتفاصيل التعب والإرهاق، تتململ في كرسيِّ الوظيفة العمومية»(١)، فهذه العلاقة القائمة بين الشخصية والمكان الذي تعمل فيه لها أثر في الراحة النفسية لها، فإنْ كان المكان مهيَّأً لالتقاط الأنفاس، مريحًا، جاذبًا، كان ذا أثر إيجابي، يعطي العاملين طاقة إيجابية للأمام، وإنْ كان غير ذلك كانت النتيجة سلبية علىٰ نفسية العاملين، مؤثرة علىٰ عملهم كما هو الحال في هذا القسم المرهق نفسيًّا وجسديًّا! ويتضح الألم المستمر هنا من الأفعال المضارعة التي تكدَّس بها المقطع السردي السابق: (يتوافدون، يرحلون، تزول، يتعثر، تتشاءب، ترفع، تنتظر، تلقي، تتململ)، فهي في همٍّ مستمر، ومشقة دائمة!

***

خاتمة البحث

هدفت الدِّراسة إلىٰ بيان أثر جائحة «كورونا» في ملامح الشخصيات الروائية في رواية: (مذكرات طبيبة زمن الكورونا)، للكاتبة التونسية آمنة بو سعيدي، وتتلخص النتائج في الآتي:

- تعدُّ الكاتبة آمنة بو سعيدي من الروائيين التونسيين المبدعين من خلال ما وقفتُ عليه من بناء فني محكم في روايتها «مذكرات طبيبة زمن الكورونا».

(١) مذكرات طبيبة زمن الكورونا، (ص٣٧).

- تستمدُّ الكاتبة شخصياتها في مدونتها المدروسة من أوساط مجتمعها القريب منها.
- قُسِّمت الشخصيات في رواية «مذكرات طبيبة زمن الكورونا» إلىٰ قسمين رئيسين: الشَّخصيات الرئيسة، والشَّخصيات الثانوية، وظلَّتْ مرتبطةً بتحريك الأحداث في الرواية، وبيان أثر الجائحة في المجتمع التونسي.
- تتَّسم الشَّخصيات الروائية بأربعة أبعادٍ: جسمية، ونفسية، واجتماعية، وفكرية، وتتكامل مع بعض لتشكِّل نسقًا روائيًا تريده الكاتبة، وقد يأتي بعضًا من هذه الأبعاد لإعطاء سمة معينة عن إحدىٰ شخصيات الرواية.
- تشكِّل شخصية «الطبيبة»: شخصيةً مركزيةً تدور حولها الأحداث الروائية، وألحظ أن الكاتبة تبنَّت هذه الشخصية؛ للتعبير عن نفسها، وقد تكون قريبة من واقعها ومحيطها الاجتماعي.
- استطاعت الكاتبة أنْ ترصدَ جانبًا مهمًّا في المجتمع التونسي زمن الجائحة، وهو أثر «كورونا» علىٰ الشخصيات التونسية، وكيف تعامل الشعب مع الجائحة.
- للشخصية الروائية ارتباطٌ واضحٌ بعناصر السَّرد الأخرىٰ، فالعلاقة بينها وبين عناصر: الحدث، والمكان، والزمن علاقةٌ تكامليةٌ في «مذكرات طبيبة زمن الكورونا»، وشكَّلت بناءً فنيًّا منسجمًا.

كما توصي الدراسة بما يلي:

- البحث في عناصر السَّرد الأخرىٰ في رواية: «مذكِّرات طبيبة زمن الكورونا»، فهناك: الفضاء، والزَّمان، والأحداث، واللغة.
- البحث في الروايات الأخرىٰ لآمنة بو سعيدي في أيِّ اتجاهٍ فنيٍّ، أو دراستها جميعًا في عمل فنيٍّ متكاملٍ.

وبعد: فإنَّ هذه الدراسة حاولت الكشف عن: أثر جائحة كورونا في ملامح الشَّخصيات

الروائية في رواية (مذكرات طبيبة زمن الكورونا) لآمنة بو سعيدي، لعل فيها إضافة أدبية نقدية تضاف إلىٰ دراسات أخرىٰ، وتكون جزءًا من لبنات متراكمة، يكمل بعضها البعض الآخر لبيان أثر الجائحة علىٰ الأدب العربي عامة، والأدب التونسي خاصة.

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكَّلت وهو ربُّ العرش العظيم.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

- **بناء الرواية عند حسن مطلك «دراسة دلالية».** الجبوري، د. عبدالرحمن محمد، د. ط، د.م: المكتب الجامعي الحديث، ٢٠١٢م.
- **بناء الرواية.** عثمان، د. عبد الفتاح، ط١، القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٨٢م.
- **البنية الروائية في نصوص إلياس فركوح: تعدد الدلالات وتكامل البنيات.** عبيد، أ. د. محمد صابر، ود.سوسن البياتي، ط١، عمان، الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع، ٢٠١١م.
- **بنية السرد في القصة القصيرة «سليمان فياض نموذجا».** الشاهد، نبيل حمدي، ط١، عمان، الأردن: مؤسسة الوراق، ٢٠١٣م.
- **بنية الشكل الروائي (الفضاء- الزمن- الشخصية).** بحراوي، حسن، ط١، بيروت، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م.
- **تحليل النص السردي «تقنيات ومفاهيم».** بو عزة، محمد، ط١، الجزائر: منشورات الاختلاف، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- **تطور النثر العربي في العصر الحديث.** القاعود، أ. د. حلمي محمد، ط١، الرياض، المملكة العربية السعودية: دار النشر الدولي، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- **جماليات التشكيل الروائي: دراسة في الملحمة الروائية «مدارات الشرق».** نبيل سليمان، عبيد، محمد صابر، ود. سوسن البياتي، ط١، إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢م.
- **حركات التجديد في الأدب العربي.** وادي، د. طه، د.ط، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٩م.
- **الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية.** عبد السلام، فاتح، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٩م.
- **ديوان الخنساء.** الخنساء، ط١، بيروت، لبنان: دار صادر، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.

- **الرواية العربية في مرحلة النهوض والتشكّل «دراسة نقدية»**. الشنطي، د. محمد صالح، ط١، حائل، المملكة العربية السعودية: دار الأندلس للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- **الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة**. عبد العزيز، سعد، د.ط، القاهرة: المطبعة الفنية الحديثة، أكتوبر ١٩٧٠م.
- **الزمن في الرواية العربية**. القصراوي، مها حسن، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م.
- **الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ**. سلامة، د. محمد علي، ط١، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٧م.
- **غسان كنفاني: جماليات السرد في الخطاب الروائي**. زعرب، د. صبحية عودة، ط١، عمان، الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
- **فن كتابة الدراما للمسرح والإذاعة والتلفزيون**. نعمان، د. منصور، ط١، إربد، الأردن: دار الكندي للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.
- **فنون النثر العربي الحديث ٢**. الماضي، أ. د. شكري عزيز، ط٢، القاهرة: الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، ٢٠١٢م.
- **في نظرية الرواية «بحث في تقنيات السرد»**. مرتاض، د. عبد الملك، د.ط، الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٨م.
- **قضايا الأدب العربي**. سالم، عمر، وآخرون، د. ط، تونس: مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية في الجامعة التونسية، ١٩٧٨م.
- **لسان العرب**. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، ط٦، بيروت: دار صادر، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- **مذكرات طبيبة زمن الكورونا**. بو سعيدي، آمنة، ط١، تونس: عليسة للنشر والتوزيع، ٢٠٢١م.
- **معجم السرديات**. القاضي، أ. د. محمد، وآخرون، ط١، تونس: دار محمد علي للنشر، ٢٠١٠م.
- **معجم المصطلحات الأدبية**. فتحي، إبراهيم، د. ط، الجمهورية التونسية: المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، عدد١، ١٩٨٦م.

- **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب.** وهبة، مجدي، وكامل المهندس، ط٢، بيروت، لبنان: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.
- **المكان في الرواية «بحث في قصصية المكان».** حاجي، د. الميلود، ط١، تونس: د.ن، ٢٠٢٠م.
- **المكان في الرواية البحرينية.** حسين، فهد، ط١، مملكة البحرين: فراديس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.
- **النقد الأدبي الحديث.** هلال، د. محمد غنيمي، د.ط، مصر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، إبريل١٩٩٦م.

المجلات العلمية:

- **النكتة والسخرية في زمن الوباء.** العصيمي، د. صالح بن فهد، مجلة القافلة، أرامكو، المملكة العربية السعودية، مج٦٩، عدد٤، يوليو/ أغسطس ٢٠٢٠م، (ص٦٦).

الروابط الشبكية:

- موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا): https://cutt.us/o5KSl
- موقع منظمة الصحة العالمية: https://cutt.us/Gpn4f

* * *

Bibliography

- Binaa Arriwaya ?inda Hassan Mutlaq (Construction of the novel according to Hassan Mutlaq): "a semantic study", Al-Jubouri, Dr. Abdulrahman Mohammad, n.ed, s.l., Modern Office Publisher, 2012.
- Binaa Arriwaya Construction of the novel, Othman, Dr. Abdulfattah, first edition, Cairo, El-Shabab Bookstore, 1982.
- Albinya Arriwaeia (Narrative structure in the texts of Elias Farkoukh: multiple significance and integration of structures), Obaid, Prof. Dr. Mohammad Saber, & Dr. Sawsan Al-Bayati, first edition, Amman, Jordan, Dar Wael for Publishing, 2011.
- Binyat Assard fi Alqissa Alqassira (Structure of narration in the short story): "Suleiman Fayyadh as a model", Al-Shahid, Nabil Hamdi, first edition, Amman, Jordan, Al-Warraq Foundation, 2013.
- Binyat Ashakl Arriwaei (Structure of the narrative form) (Space - Time - Character), Bahrawi, Hassan, first edition, Beirut, Casablanca, the Arab Cultural Center, 1990 AD.
- Tahlil Annas Assardi (Analysis of the narrative tex)t: "Techniques and Concepts", Bouazza, Mohammad, first edition, Algeria, Ikhtilaf Publications, 1431 AH, 2010 AD.
- Tattaowr Annathr Alarabi fi Alassr Alhadith (Evolution of the Arabic prose in modern time), Al-Qaoud, Prof. Dr. Helmy Mohammad, first edition, Riyadh, Saudi Publishing House, 1429 AH - 2008 AD.
- Jamaliat Attashkil Arriwaei (Aesthetics of the narrative formation): a study in the epic "The Orbits of the East" by Nabil Sulaiman, Obaid, Mohammad Saber, and Dr. Sawsan Al-Bayati, first edition, Irbid, Jordan, Modern Books world, 2012.
- Harakat Attajdid fi Aladab Alarbi (Renewal movements in Arabic literature), Wadi, Dr. Taha, n.ed., Cairo, House of Culture for Printing and Publishing, 1979.
- Alhiwar Alqassassi (Narrative dialogue), its techniques, and narrative relationships, Abdulsalam, Fatih, first edition, Beirut, Arab Institute for Research and Publishing, 1999.
- Diwan Alkhansaa (Anthology of Al-Khansaa), first edition, Beirut, Lebanon, Dar Sader Publishers, 1377 AH, 1958 AD.
- Alriwaya Alarabia fi Marhalt Annohoudh wa Attashakul (Arab novel in the stage of advancement and formation): "a critical study", Al-Shanti, Dr. Mohammad Saleh, first edition, Hail, Saudi Arabia, Dar Al-Andalus Library for Publishing and Distribution, 1425 AH, 2004 AD.
- Azzaman Attrajidi fi Arriwaya Almu?asira (Tragic time in the contemporary novel), Abdulaziz, Saad, n.ed., Cairo, Modern Technical Press, October 1970.
- Azzaman fi Arriwaya Alarabia (Time in the Arab novel), Al-Qasrawi, Maha Hassan, first edition, Beirut, Arab Institute for Research and Publishing, 2004 AD.
- Ashakhsia Athanawia wa Dawraha fi Almi?mar Arriwaei ?inda Najib Mahfouz (Minor character and its role in the narrative architecture of Naguib Mahfouz), Salamah, Dr. Mohammad Ali, first edition, Alexandria, Dar Al Wafaa for printing and publishing, 2007AD.
- Ghassan Kanafani: aesthetics of narration in the narrative discourse, Zoarob, Dr. Sobhia Oudah, first edition, Amman, Jordan, Dar Majdalawi for Publishing and Distribution, 1426 AH, 2006 AD.
- Fann Kitabat Addirama Lilmasrah wa Aliza?a wa Attilifizion (Art of writing drama for theatre, radio, and television), Nu'man, Dr. Mansour, first edition, Irbid, Jordan, Dar Al Kindi for Publishing and Distribution, 1999 AD.

- Fonoon Annathr Alarabi Alhadith (Arts of modern Arabic prose) 2, Al-Madhi, Prof. Dr. Shukri Aziz, second edition, Cairo, United Arab Company for Marketing and Supplies, 2012.
- Fi Nazariat Arriwaya (Theory of the novel): "Research in narrative techniques", Mortadh, Dr. Abdulmalik, n.ed., Kuwait, the world of knowledge, the National Council for Culture, Arts and Letters, 1998 AD.
- Qaddaya Aladab Alarabi (Issues of Arab literatur)e, Salem, Omar, et al, n.ed., Tunisia, Center for Economic and Social Studies and Research at the University of Tunisia, 1978 AD.
- Lisan Alarab (Arab tongue), by Ibn Manzhoor, Jamaluddin Mohammad bin Makram, sixth Edition, Beirut, Dar Sader, 1417 AH, 1997 AD.
- Muzakirat Tabiba fi Zaman Alkorona (A diary of a doctor in the time of Corona), Bou Saidi, Amna, first edition, Tunisia, édition & diffusion, 2021 AD.
- Mu?jam Assardiat (Dictionary of narratives), Alqadhi, Prof. Dr. Mohammad, et al., first edition, Tunisia, Edition Med Ali, 2010 AD.
- Mu?jam Almustalahat Aladabia (Dictionary of literary terms), Fathi, Ibrahim, n.ed., Republic of Tunisia, Arab Association for United Publishers, Issue 1, 1986 AD.
- Mu?jam Almustalahat Alarabia fi Allugha wa Aladab (Dictionary of Arabic terms in language and literature), Wahbah, Majdi, & Kamel Almohandes, second edition, Beirut, Lebanon, Library of Lebanon, 1984 AD.
- Almakan fi Arriwaya (The Place in the novel): "A study about the storylines of the place", Hajji, Dr. Almailoud, first edition, Tunisia, 2020.
- Almakan fi Arriwaya Albahrinia (The Place in the Bahraini Novel), Hussein, Fahd, first edition, Kingdom of Bahrain, Dar Faradees for Publishing and Distribution, 2003 AD.
- Alnaqd Aladabi Alhadith (Modern literary criticism), Hilal, Dr. Mohammad Ghonaimi, n.ed, s.l., Nahdet Misr Publishing House, April 1996.

Journals:

- Annukta wa Asukhria fi Zaman Alwabaa (Joke and irony in the time of the epidemic), Al-Osaimi, Saleh bin Fahd, Qafilah Magazine, Aramco, Saudi Arabia, Vol. 69, Issue 4, July / August 2020.

Network links:

- Website of the free encyclopedia (Wikipedia): https://cutt.us/o5KSl
- World Health Organization website: https://cutt.us/Gpn4f

❊ ❊ ❊